تجارة الرقيق الصحراوية الأفريقية العثمانية وجدواها الاقتصادية في القرن التاسع عشر

بقلم الدكتور جاسم محمد شطب العبيدي

الخلاصة

تناول الباحث في هذا البحث تجارة الرقيق عبر الصحراء الأفريقية الكبرى إلى مدن ساحل البحر المتوسط مثل الإسكندرية والقاهرة وطرابلس وبنغازي وتونس والجزائر في القرن التاسع عشر جوانبها الاقتصادية ، وهي تجارة متأصلة منذ أمد بعيد ، حيث ينقل الانسان الأفريقي من مجاهل أفريقيا إلى هذه المدن ومنها إلى مدن أوربا عبر شبكة من الطرق والمدن الصحراوية ، التي كانت قائمة بفعل التجارة الصحراوية وفوائضها الضخمة . وتناول الباحث مصادر الرقيق والجماعات القبائل المنغمسة في هذه التجارة ، وطرق القبض عليه ونقلة وطرق عرضه والعوامل التي تحدد أسعار والتباين الكبير في هذه الأسعار من منطقة لأخرى ،الذي يحد مقدار الأرباح الناجمة عن العملية التجارية والغاية من شراء هذه الأعداد الكبيرة منه ، ثم حجم هذه التجارة في القرن التاسع عشر ضمن تجارة الصحراء والدوافع التي كانت وراء زيادتها في هذا القرن، وانغماس الكيانات السياسية فيها ، لاسيما الدولة العثمانية المشجعة لاستمرار هذه التجارة بسبب الفوائض الضخمة التي تحصل عليها أو يحصل عليها موظفوها من الضرائب والرسوم كضرائب الأعشار ورأس المال ورسوم الاستيراد والتصدير أو الترانزيت أو من الهدايا والأعطيات والرشى ، التي تقدم للموظفين من أجل غض أطرافهم عنها بعد صدور مراسيم منعها في النصف الثاني من القرن، وأخيراً تلاشي هذه التجارة والعوامل التي كانت وراء ذلك .

Abstract

The researcher had treat in this research slave trade across wide African desert to Mediterranean share cities as Alexandria ,Cairo ,Tripoli ,Benghazi, Tunis and Algiers ,and its economic aspects in nineteenth century . The slave trade was ancient trade in old times ,that the African Human had transport from unknown African regions to this cities and from this to European cities cross reticulate desert routes and cities, which was stay because of desert trade and its considerable superabundant. The researcher had treat also slave sources and ethnic groups and tribes which was immersed in it, and capture procedures slaves and them bring, them proffer methods, and the factors which was pegged them prices and a large difference in this prices from area to another, which was pegged ensuing profits from trade activity , and the aim of purchasing this numbers of slave ,therefore this trade dimension in nineteenth century within desert trade, and the incentives which was caused its increase in this century ,and

political state had plunged in it, particularly Ottoman Empire which was encouraged this Trade, because of the great profits, which the Ottoman Officials had obtain it from taxes, customs tariffs, admissions, exportation taxes or transit or gifts or bribes which was pied to the Ottoman Officials in order they disregarded for this trade after emanation decrees to prevent it in the second half of nineteenth century ,and at least decline this trade and causes behind it

المقدمـــــــة

يحتل موضوع النشاط البشري في الصحراء الكبرى أهمية كبيرة في الدراسات الإنسانية ، إذ شكلت ظاهرة متميزة في تاريخ أفريقيا والشرق ، حيث ازداد الاهتمام بجغرافيتها وبالجماعات الأثنية المستوطنة فيها وبعلاقاتهم السياسية ونشاطهم الاقتصادي ومدنهم وطرق مواصلاتهم التي حولت الصحراء من عامل حجز حضاري بين شمالها وجنوبها إلى عامل تواصل حضاري ، فكان موقعها بين شمال أفريقيا وجنوبها بمثابة البحار بين الأمم . لذا كانت محط اهتمام الدارسين ومقصد المغامرين الأوربيين، الذين انثالوا عليها بأعداد كبيرة تحت واجهات شتى ، ومنها متابعة مكافحة تجارة الرقيق، التي كانت النشاط الاقتصادي الأبرز لدى الجماعات التي كانت تقطن هذه المنطقة الواسعة .

أثارت تجارة الرقيق بفواضها الاقتصادية التي كانت تدرها على القائمين والأطراف التي كانت تختبئ وراءها كالحكام والولاة ورجال الجمارك وربابنة سفن الشحن التي تنقل هؤلاء إلى مناطق تصديرهم ، اهتمام الطامعين الباحثين عن فرص الاثراء ، بنفس الدرجة التي أثارت فيها دعاة المساواة وحملة المشاعر الإنسانية ، الذين كانوا لا يخفون امتعاضهم من استمرار هذه المعرة التاريخية تحت سمع السلطات في هذه الأصقاع وأنظارهم .ولكن ما يثير الحزن والألم أن يتحمل المسلمون والعرب المسؤولية التاريخية والإنسانية لاستمرار هذه التجارة دون غيرهم ، في حين كان هؤلاء مجرد وسطاء بائسون فيها ، وذلك لمقدرتهم على مواجهة ظروف السفر والإقامة في هذه
الصحراء مقابل أرباح بسيطة جداً تدفعهم على الرغم من هزالها وضآلتها الاستمرار فيها ، في حين لا يوجه أي اتهام إلى أصحاب الرساميل الذين يمولون هذه التجارة ومن بينهم اليهود في القاهرة وطرابلس أو الليبانتو ، كما لا يوجه اللوم إلى الأتراك ، الذين كانوا على رأس النظام السياسي في المنطقة ، إلا عند تحميل المسلمين تبعة هذه المعرة بكونهم مسلمين . ولم يوجه اللوم إلى الفرنسيين في الجزائر الذين عملوا جاهدين لتحويل هذه التجارة إلى مستعمراتهم في الشمال الأفريقي.

يعد القرن التاسع عشر تاريخاً مهماً ليس في أوربا الصناعية المتطورة الباحثة عن الأسواق بل في الشرق المتخلف حيث شهد في هذا القرن بدايات لتطورات اجتماعية واقتصادية عميقة في المجتمعات الشرقية التي لم تتمكن العيش بمعزل عن الأفكار الحرة التي صدرتها أوربا مع ما صدرت إليها من البضائع ، أو فرضتها بالقوة بفوهات مدافعها ، ومنها قيم المساواة الإنسانية حيث لا يحق تحت أي من الظروف استرقاق الإنسان لأخيه الإنسان ، وهو ما لم يغب عن ذهن العربي المسلم ، أو الشرقي بشكل مطلق فقبل أكثر أربعة عشر قرناً أطلقها الإسلام صرخة مدوية " أما أخا لك بالدين أو نظير لك بالخلق " ولكن الجشع الإنساني وقيم الارستقراطية التي أقحمت في التعاليم الوضعية الإسلامية ، حجز هذه الصرخة عن آذان

الباحثين عن الثروات الذين ظلوا يمارسون هذه التجارة حتى جاء تحريمها ليس من قبل المسلمين بل من قبل أعدائهم . وتوفرت لدراسة هذا الموضوع كم كبير من الوثائق العربية والأجنبية والمصادر ومشاهدات المستشرقين والرحالة والشهادات الأخرى ، وانا أتمنى أن أفي هذا الموضوع الحساس حقه من البحث بموضوعية عالية في هذه العجالة .

البحـــــــــــــــــــــث

ودعت البشرية نظام الرق كمرحلة تطورية اقتصادية وسياسية واجتماعية قبل ظهور الإسلام في القرن السابع الميلادي بزمن طويل . إلا إن الرق بقي بالرغم من ذلك سائدا في الأقاليم الإسلامية لاسيما الوطن العربي إلى القرن العشرين وربما إلى ما بعد ذلك في بعض الجهات المنعزلة من الصحاري العربية . وكان الدين الجديد دعوة صريحة لإقامة العدل وإنصاف المستضعفين في الأرض، (وَنريدُ أن نَمُنَ على الذين **استُضعِفوا** في ألأرض وَنجَعَلَهُم أئِمةً ونجَعلَهُم الورثِيَن)[i]. وجعل من عتق الرقيق ما يتقرب به الإنسان إلى ربه، (فَلا اقتَحَمَ العَقَبَةَ ۞وما أَدرَيكَ ما العَقَبَةُ ۞فَكُ رَقَبَة) [ii]،أو عقاباً له عن جرم اقترفه ،(وَمَن قَتَلَ مُؤمِناً خَطَئاً فَتَحرِيرُ رَقَبَةٍ)[iii] .

ولم يعرف عن النبي (ص) إنه اقتنى رقيقاً حتى أنه (ص) رفع زيداً مولاه إلى درجة التبني قبل البعثة ، وحديث ذلك واضح في القرآن الكريم[iv] ، وقال قائل أهل البيت " **أما أخو لك في الدين أو نظير لك في الخلق** "، كما لم نسمع عن الرهط الأول من المسلمين إنهم تاجروا بالرقيق ، بل إن بعضهم أسهم في عتق بعض أصحابهم ممن كانوا رقيقا ، وأصبح بذلك بلال الحبشي وسلمان الفارسي وغيرهما من كبار الصحابة على درجة كبيرة من الشرف . كما خصص الشارع الإسلامي المقدس جزءاً من الإيرادات العامة لغرض تحرير الرقيق المسلمين (وآتى المَالَ عَلَى حُبه ذَوِى القُربَى واليَتَامَى والمَسَاكِينَ وابن السَبيل والسَآئِلِينَ وَفِي الرِقَابِ)[v]. ولو التزم المسلمون التزاماً صارماً بذلك لما بقي رقيق في المجتمع الإسلامي بعد فترة قصيرة ، شريطة أن يغلق باب الرق . ولكن لماذا لم يغلق هذا الباب المنافي تماماً لتعاليم السماء؟.

وكانت معضلة تحرير الرقيق التي جاء بها الإسلام أحد أسباب المقاومة الضارية التي لاقت فيها الارستقراطية العربية ، ولاسيما ارستقراطية قريش ،الدعوة إلى الإسلام وما تحمله في مضمونها الدعوة إلى المساواة ،وكيف يتساوى المرء وعبيده وكيف يتنازل طوعاً عن جزء ممتلكاته؟، إلا إن السؤال الأكثر أهمية هو؛ لماذا لم يحرم الشارع المقدس اقتناء وتجارة الرقيق ضمن سلسلة تحريماته كالربى والخمر والميسر والنسئ وغيرها مما هو أقل ضرراً في حياة المجتمعات الإنسانية ؟،وكيف جّوز استمرار بيع المسلم لأخيه المسلم ، بعد إقرار نظرية المساواة المطلقة بين المسلمين؟،ولماذا لم يحرمه المسلمون الأوائل؟ ،ولو فعل ذلك عمر بن الخطاب لحاز من المجد ما لا يدانيه فيه كل منظري الشرائع الوضعية ، ولبقي المسلمون يتيهون فخراً على غيرهم من الأمم ، ولماذا لم يُتبِع استنكاره الشديد لهذه المعرة " **متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً** " بالتحريم القطعي للرق ؟ . وهل كانت اقتصاديات الجزيرة العربية في القرن السابع تبرر استمرار الرق ، وعندها يمكن القول إن استمرار الرق حتمته ضرورات اقتصادية ؟ ، هذه وغيرها من التساؤلات بحاجة لمن يجيب عليها .

يبدو إن المجتمع الإسلامي الأول كان مثالياً مقارنة بالمجتمعات الإسلامية اللاحقة التي كانت ما هي إلا حلقات متواصلة من أنظمة الرق ، منذ أن أطلق

المعتصم الحلقة الأولى على نطاق واسع للاستعانة بهم في الجيش ، وفي حكم الإمبراطورية المترامية الأطراف ، والذين تحولوا سريعاً إلى عوامل فوضى في المجتمع الإسلامي ، بل إنهم أسهموا في أكثر الثورات التي واجهتها الارستقراطيات التي حكمت المجتمعات الإسلامية . وشكل نظام الديوشرمة الحلقة الأخيرة من نظام الرق الإسلامي منذ أن شرعة السلطان العثماني أُورخان في مطلع القرن الرابع عشر حتى ألغاه السلطان محمود الثاني في النصف الأول من القرن التاسع عشر، حيث كان العثمانيون يسترقِون أبناء العائلات المسيحية قسراً، استيفاءً لضريبة الرأس العثمانية [vi]. والأنكى من كل ذلك إن نظام الرق الإسلامي حمل في طياته تمييزاً عنصرياً واضحاً ضد الرقيق الأسود بدلالة لون بشرتهم، ولم يستخدموا إلا في الأعمال الوضيعة التي يأنف منها الأحرار مثل الخدمة في المنازل أو الرعي أو الفلاحة أو جمع الملح من السباخ أو تدوير دواليب رفع المياه ، ويبقى هذا ديدنهم حتى الموت . في حين كان الرقيق الأبيض يستخدمون في الجيوش أو في الإدارة والسياسة والحرب ، أو زوجات للأمراء والسلاطين[vii] ، فينالون حريتهم ويتدرجوا إلى أعلى المناصب ويمتلكون رقيقاً وهكذا .وكانت أفريقيا مصدر الرقيق الأسود ، والصحراء الكبرى ممراً رئيسياً لهم إلى مختلف الجهات.

عرفت الصحراء الأفريقية الكبرى منذ القدم حركة تجارية رائجة بين شمال الصحراء وجنوبها حيث تنقل البضائع على ظهور الجمال في رحلات طويلة ،وازدهرت من أجل ذلك المراكز الصحراوية حول الواحات ومصادر المياه ،واعتمدت بالدرجة الأولى على بعض عائدات هذه التجارة مقابل الخدمات المقدمة للقوافل مثل المأكل والملبس والمأوى وكراء الإبل . وكان الرقيق جزءاً هاماً من هذه التجارة حيث تنقل أعداد هائلة من الإنسان الأفريقي على مر العصور من جنوب الصحراء إلى أقاليم شرق المتوسط .ولم تكن الصحراء التي يشكل الإسلام مكونها الحضاري الأبرز بقادرة على استيعاب هذه الأعداد الهائلة من الرقيق، فهي تخلو من الأنهار المهمة ،وتكاد تخلو من مصادر المياه الأخرى ،فلم تكن هناك زراعة أو رعي أو مراكز سكانية كبيرة يمكنها استيعاب الأعداد الكبيرة من الجواري أو المحظيات لإشباع الرغبات الجنسية لدى الأسياد ، باستثناء مدن وادي النيل التي ظلت سوقاً رائجاً للرقيق حتى النهاية ،كما سنرى في سياق البحث .إلا إن الأقاليم الصحراوية الممتدة بين البحر الأحمر والمحيط الأطلسي ،التي شكلت على الرغم من تباعد المسافات بين أقاليمها وقلة سكانها ، وحدة حضارية واحدة شكلت تجارة الصحراء ، ولاسيما تجارة الرقيق ، أساسها الاقتصادي وعصب الحياة فيها[viii] .

ولا نعرف بالتحديد متى تحول الإنسان إلى سلعة تجارية قابلة للبيع أو المقايضة أو الإهداء ، إلا أن المعروف أن تجارة الرقيق شكلت في القرن التاسع عشر تياراً اقتصادياً بين أوربا المتحضرة والمتقدمة صناعياً ، وأفريقيا التي لم تزل تعيش في العصور الغابرة ، وكان الإنسان الأفريقي مقياساً لمستوى الأسعار في التبادل التجاري بينهما ، وهو السلعة الأكثر أهمية والأوسع في تجارة الصحراء، وقدرها جيمس ريتشاردسون James Richardson الرحالة الإنكليزي المنصف الذي ساح في الصحراء الكبرى في أربعينيات القرن التاسع عشر معتمداً من جمعية مكافحة الرقيق البريطانية للاطلاع على أحوال الرقيق فيها، استناداً إلى مشاهداته ، بثلثي قيمة التجارة مع الأقاليم السودانية [ix]، و**"ماذا تساوي بعض كييسات من التبر أو شيء من ريش النعام أو بعض من جلود النمور مقارنة بالرقيق"**، على حد قول جان كلود زليتنر[x]، بل كان من الصعوبة بمكان تحقيق ارباح

في قائمة طويلة من البضائع السودانية كالسنا والجلود وريش النعام والعاج والتبر والتوابل والزباد (مادة عطرية كانت تستخرج من نوع من القطط) والطرونة التي تمضغ مع التبغ كنوع من المخدرات والحيوانات الحية كالأغنام والببغاوات ، من دون الرقيق[xi] .

كانت البضائع السودانية تقايض بمنتجات المصانع الأوربية ، ففي معرض حديثه عن تجارة القوافل أفاد ديلاني Delagny المقيم التجاري الفرنسي في طرابلس في ٨تشرين الثاني (نوفمبر) ١٦٨٦**"يرسل داي طرابلس إلى فزان قافلة مكونة من حوالي مائة جمل مرتين في السنة ، محملة بالحلي الزجاجية، أساور وعقود بألوان مختلفة وورق خشن وبالات من الأقمشة الرديئة النوعية ونحاس بأشكال مختلفة "**[xii] . وتتعدى صادرات مدينة طرابلس ومدن الساحل الجنوبي للبحر المتوسط الاخرى ، ما ذكره ديلاني في تقريره ،إلى شفرات السيوف والمنسوجات القطنية من مصانع مانشستر والسروج والمواد غير القابلة للتلف من جراء نقلها عبر الصحراء لمسافات طويلة ،أو من تعرضها للضوء والحرارة المحرقة وتلك التي يقبل عليها حكام الأقاليم السودانية من مواد الرفاهية[xiii] ، مقابل الرقيق بالدرجة الأولى . وأعرب أحد تجار الرقيق في غات عن أسفه واستنكاره لاستمرار هذه المعادلة بقوله **" يعد تجار السودان وكانو وسوكاتو من أحب التجار لدي، ومع ذلك أشعر بالشفقة عليهم لإتجارهم بأبناء عمومتهم وإخوتهم في الدم واللحم ومبادلتهم بأشياء تافهة عديمة النفع كالورق الخشن والسبح وبعض الملابس**[الرديئة] **والزجاج وأمواس الحلاقة التي يعنى الحصول عليها أنزال الأذى بإخوتهم الذين لاحول لهم ولا قوة "**[xiv] . الأمر الذي أثار اهتمام غاغليوفي Gagluiffi[xv] نائب القنصل البريطاني في فزان واستنكاره أمام الحاج بشير؛ الوزير الأول لحاكم برنو عند قدومه إلى مرزق في عام ١٨٤٤وإقامته في بيته لعلاقة تربطهما ، فوجدها فرصة لتقديم نصحه للوزير بالكف عن تجارة الرقيق التي ستصحر بلاده من سكانها[xvi].

كان ازدهار التبادل التجاري بين مدن شمال الصحراء والأقاليم السودانية في القرن التاسع عشر ، واحدة من أبرز نتائج انتشار الثورة الصناعية في بلدان غرب أوربا وسيادة نمط الإنتاج الواسع وبالتالي ازدياد كميات السلع المعدة للتبادل وتعدد أنواعها ، انعكاساً في الصحراء والأقاليم السودانية . ومن نتائج ذلك ايضاً ، أن أصبحت قوائم السلع السودانية المعدة للتبادل بما في ذلك الرقيق ، غير كافية لتغطية أقيام البضائع الصناعية القادمة من الشمال. وكان ذلك مدعاة إلى مضاعفة الجهود لإنتاج كميات أكبر من السلع السودانية والإجهاز على عدد أكبر من القرى لصيد الرقيق بالإغارة عليها ليلا ، أو بافتعال الأسباب لإشعال الحروب بين الأقاليم والقبائل السودانية حيث يسهل على المنتصرين أسر أعداد كبيرة من أبناء الأطراف المنهزمة وبيعهم إلى تجار الرقيق ، وإن استمرار هذه الحروب مؤشراً على ارتفاع أعداد المعروض من الرقيق في الأسواق[xvii] ، لذا كان انتشار الأسلحة الحديثة في جنوب الصحراء ، والتي كانت تغطى أقيامها بالرقيق ، كما فعل رابح الزبير بتجهيز جيشه بالأسلحة الحديثة[xviii] ، مؤشراً آخراً على زيادة أعدادهم في النصف الثاني من القرن التاسع عشر[xix] . كما كان تكديس كميات كبيرة من السلع السودانية بما في ذلك أعداد كبيرة من الرقيق في المراكز الصحراوية انتظاراً لقدوم قوافل الشمال، وسيلة أخرى لتسهيل تغطية أقيام السلع الصناعية ومواجهة الطلب المتزايد عليها [xx] .

كانت البورنو وأرض الهوسا وكل الاقاليم الواقعة بين نهر النيجر وبحيرة تشاد ووداي وأقاليم الكانم وكردفان ودارفور وجميع اقاليم السودان الشرقي

مثـل بنـدBand وباجـةBaja وفتفـوFitfo ودار فرتيـتDarFartit وشـنديShindi وسـنار Sinnar(xxi) ،الأقـاليم الرئيسـية لهـذا النـوع مـن البضاعة. وأعرب أحدهم عن ذلك إن مواطن هذه التجار لم تزل تدفع بأبنائها إلى الرق منذ آلاف السنين ومع ذ لك " **ففي كل مرة نقصدها إلا وجدنا بها المزيد منهم** "،وموردهم لا ينضب مادامت النساء ولادات والرجال متأهبون للإنجاب (xxii) . وكان الرقيق تعويضاً مناسباً في المناطق الخالية من الذهب مثل إقليمي الوداي والكانم(xxiii).وأسهب ديلاني في وصف ملك البورنو في تقريره آنف الذكر، "**ملك مسلم وقوي جداً ومتسامح ويحتفظ دائماً بثلاثمائة ألف رجل من السود على حسابه** "(xxiv) ، دون أن يذكر ما إذا كان هؤلاء رقيقاً أم لا. كانت الوسيلة التي يتحول بها الإنسان الحر إلى الرق ثم تتناقله الأيدي كأية سلعة أخرى بقيمة وربما أدنى من بعض السلع ودون أدنى اهتمام لانتهاك المعايير الأخلاقية التي تصنف العبيد ضمن العائلة الإنسانية ، واحدة من أكثر صفحات تجارة الرقيق الصحراوية حطةً، ورب عبد كان أسمى خلقاً وأرق مشاعر من مسترقه . وكانت عمليات خطف الأفارقة واصطيادهم بالسطو على القرى السودانية ، توفر للقائمين بها أعداداً كبيرةً من الاسرى ، حيث يخطط جيداً لعمليات السطو هذه التي تنفذ في وقت متأخر من الليل في منتهى السرية باستخدام إناث الجمال ،التي لا تثير جلبة ملفته للنظر ، وباستخدام الأسلحة النارية الحديثة مثل بندقية وينشستر أو ريمنغتون ذات الإطلاقة الواحدة (xxv) ، أو باستخدام الفرق الحكومية المسلحة تسليحاً جيداً ، كما كانت الحكومة المصرية تفعل في زمن محمد علي لرفد الجيش المصري بهؤلاء الرقيق ، وعلى سبيل المثال بلغ تعداد إحدى الحملات التي أرسلتها الحكومة المصرية ، ألفين من المشاة وألفاً من الفرسان وأربعة مدافع (xxvi). وتحاصر القرية المقصودة بأكبر عدد من القوة المغيرة ولا مجال للنجاة ، ويتم بعدها تجميع الأسرى وفرز الفتيات والفتيان ممن يتوسم بهم المغيرون أسعاراً مجزية ويقتل الباقون دون إعارة اهتمام للجنس أو العمر أو لأي الضابط أخلاقي .وقدم لنا الرحالة بارث مشهداً مرعباً من البورنو عندما ترك مائة وسبعون فرداً ينزفون حتى الموت بعد أن تعرضت قريتهم لغارة من هذا القبيل(xxvii).

ونقل لنا الرحالة البريطاني الرائد جون لايونCaptain J. Layon الذي ساح بين١٨١٨-١٨٢٠ لاكتشاف الصحراء الكبرى ضمن بعثة لهذا الغرض، صورة لا تقل قتامة ووحشية عن كيفية السطو على القرى السودانية ،"**تحط القافلة رحالها على بعد مسير ساعتين من القرية المزمع مهاجمتها [وبعد صلاة الفجر...!] يحيط المهاجمون بالقرية ، وربما نجحوا في الاستيلاء على السكان جميعاً، وإذا استطاع أحدهم الهرب فلن يفلت من قبضة المجاميع المتمركزة على طول الطريق، ولا تمر بضع ساعات حتى يسقط في الأسر بين ألف وألف وخمسمائة أسير، بينما لا يزيد عدد الغزاة على ثلاثمائة** " ،ويسهب لايون في الكلام عن حملات الصيد ،"**وصل أحد المرابطين[إلى قطرون] بعد ظهر اليوم [٩كانون الثاني ١٨١٩]،وكان يرافق حملة صيد الرقيق . . .في المقدمة يسير الفرسان يتبعهم السبايا والعبيد مشياً على الأقدام [وكان عددهم] ثمانمائة يتشحون بقطع من الجلد والأسمال البالية . . .ونفق العديد منهم [لاسيما]الأطفال**"(xxviii) . ويتكفل الصياد تجهيز نفسه بالسلاح والمؤن اللازمة للصيد ، مقابل عبدين للفارس وعبد واحد للراجل ، ويوزع الفائض بين الصيادين بالتساوي، أما إذا كان عدد الأسرى غير كافي لتغطية قسمة كهذه ، فلربما تشارك أكثر من صياد في العبد الواحد(xxix) .

ويبـدو إن الإقبـال علـى صـيد الرقيـق عنـد البـدو الرحل أكبر من غيرهم لفقدانهم الشعور بالانتماء ، فلا أرض يزرعون ولا منازل يملكون مع رغبتهم الجامحـة فـي تحقيـق مركـز اقتصـادي واجتمـاعي أفضـل ، الأمـر الـذي كـان يـدفعهم لصـيد البشـر والمتاجرة به . وفي القرن التاسع عشر خرج صيد وتجارة الرقيق عن كونها نشاط فرداني تسعى إليه جماعات وأفراد معنيون هم غزاة وتجار الرقيق ، بل تعدى إلى الحكام والأنظمة السياسية التي كانت سـائدة آنـذاك ، وكانـت الـرزي[xxx] وسـيلة هـؤلاء لأسر الرقيق ، إذ يذكر أن محمد المكني حاكم فزان عن الحكومة العثمانية قاد حرباً ضد كانم في عام ١٨١٨، وعاد بعدد كبير من الأسرى، تحولوا إلى الرق بمجرد وقوعهم في الأسر." وقدر لايون عدد من استرقهم المكني في حربه هذه بين٤و٦آلاف [xxxi]. وفي إحدى غزواته غنم أكثر من ١٨٠٠راساً تعرضوا إلى كارثة عندما قطع بهم مفازة خالية من الماء لمدة ثلاثة أيام ، وهبت عليهم عاصفة رملية ، فأصدر أمره إلى جنوده بقتلهم جميعاً في مجزرة مروعة ظلت أصداؤها تتردد في أذهان سكان الصحراء طويلاً[xxxii] .

إن اسلوب المبالغة كان بادياً في رواية لايون ، لاسيما إنه اعتمد في الحصول على معطياته على السماع ، الذي لا يخلو من التهويل أحد سمات أحاديث أهل الصحراء، إلا أن ذلك لا يعني أن الحادثة لم تقع فعلا ، ذلك أن قيم وتقاليد الصحراء لاتضع أحداً فوق مستوى الاسترقاق مالم يتمتع بقوة تحميه وافرادَ قبيلته. وفزان شأنها في ذلك شأن الأقاليم الأخرى في الصحراء أو جنوبها حيث يتعرض فيها السكان إلى سطو الجماعات المسلحة من أجل الأسلاب والغنائم بما في ذلك النساء والأطفال الذين يتحولون إلى الرق بمجرد وقوعهم في الأسر، ولم يعصمهم كونهم مسلمين وربما كانوا عرباً أيضاً ، وكان اللص أو قاطع الطريق أو تاجر الرقيق يضع مصلحته في المقام الأول دون اكتراث كبير للمحتد أو الدين أو اللون أو الجنس أو العمر طالما بإمكانه أن يحقق من خطف السكان والمتاجرة بهم ربحاً ، ولا غرابة في أن أسماء هؤلاء اللصوص محمد وأحمد وحسين وعمر والسنوسي وغيرهم ، وأسماء المخطوفين محمد أو فاطمة [xxxiii] .

وكانت الرغبة في السيطرة على مصادر الرقيق من الأسباب الرئيسية التي دفعت محمد علي والي مصر إلى احتلال السودان في نهاية العقد الثاني من القرن التاسع عشر. ومما يذكر أن الحكومة المصرية احتكرت صيد واستجلاب الرقيق بين ١٨٢١و١٨٥٠ ، نقلت خلالها آلافاً منهم [xxxiv] ،إذ اعتمد عليهم محمد علي في بناء جيشه ودركه ، فضلا عن المصريين ، الذين أورثهم الجوع وتلاحق عصور القهر والاستبداد ،الجبن والكذب والعجز، على وفق زعمه [xxxv].وبذلك فتح محمد علي المجال على مصراعيه أمام السودانيين لاصطياد أبناء جنسهم والزج بهم في هذه التجارة المزرية [xxxvi] .

وكان لنشاط ولاة طرابلس في معرض جهودهم لفرض سيطرتهم على دواخل الإيالة ، حصيلة من الرقيق الداخل في هذه التجارة ، ففي العام ١٢٣٣هجري(١٨٢٠ميلادي) دخل أحمد بن يوسف القرمانلي نالوت عنوة وأخذ أهلها على الطاعة ودفع ما تراكم بذممهم من ديون للولاية ، وصادر ٢٥٠ رأساً من الرقيق بمصاريف الجيش [xxxvii].ولم تخف الوثائق ما اقترفه الوالي العثماني علي عشقر وكبار قادته بحق أبناء المناطق الثائرة الموالية لعبد الجليل وغومة المحمودي بين ١٨٣٣-١٨٤٢من سلب ونهب ، بعد أن عرض عليه عبد الجليل إخلاء فزان وإرجاع ما أخذه منها وتسليم ألف وخمسمائة عبد لضمان الصلح. وكان من بين المنهوبات ٢١رأساً من الرقيق بمبلغ ٢٠٠محبوب

[xxxviii] من مدينة الزاوية فضلا عن الإبل والأغنام والأموال السائلة[xxxix]. ولما اندلعت الانتفاضة بقيادة من بقي على قيد الحياة من أُسرة سيف النصر في الجبل الغربي في عام ١٨٤٣، صادرت الحكومة العثمانية بعد القضاء على الانتفاضة ٧٣غلاماً و٢٠جارية من الرقيق، فضلا عن المنهوبات الأُخرى التي تركها عبد الجليل بن غيث سيف النصر في مرزق . ووصلت هذه الأموال تحت حراسة الشيخ أحمد كانون بصاحبة ٤٥مساعداً من الساحل والمنشية و ورشفانة[xl].

وروى جيمس ريتشاردسون ما سمعه من أفواه الناس (مما لا يخلو من المبالغة)، أن الأتراك جمعوا الأطفال والنساء لاختيار أفضلهم للبيع كرقيق في إسطنبول بعد أن نكلوا برجال الجبل [xli]، واستمرت الحملات العثمانية في تأديب الأهلين وفي كل مرة تجلب أعداداً من الرقيق، ففي خريف عام ١٨٦٦ جرد الوالي العثماني محمود نديم باشا حملة عسكرية لتأديب أولاد سليمان في بلاد السودان الأوسط بعد ان انتقلوا إليه عقب الإطاحة بعبد الجليل سيف النصر وأخيه وصاروا يهددون دواخل فزان ، وكان من نتائجها أسر أعداد كبيرة من الرقيق[xlii].ومما هو جدير بالذكر إن هذه الرزي كانت مثار نقمة المقيم البريطاني العام في طرابلس العقيد جورج وارنغتون GeorgeWarrnigton المعادي جداً لتجارة الرقيق الصحراوية[xliii] ، والذي كان الاختيار المناسب لحكومته ليؤدي هذا الدور المهم في هذا الوقت ، والذي عين بدوره في عام ١٨٤٣ غاغليوفي وكيلاً له في مرزق فوفق هذا الأخير في إيقاف هذه الرزي على الأقاليم المصاقبة لفزان طيلة مكوثه في مدينة مرزق[xliv].

وكان الرق عقوبةً يخضع لها من يقترف ذنباً أو جريمة بحق الآخرين في بعض القبائل السودانية[xlv]، ويمارس ضدهم الاخصاء لفرض الاسترقاق عليهم ولزيادة أسعارهم عند بيعهم ، إلا إنه لا يفلت من الموت من جراء الخصي أكثر من ١٠% من مجموع من تطبق بحقهم هذه العقوبة. وكانت قبائل بعينها مثل الموسِي Mossi وبعض قبائل البورنو، أمهر من غيرها في ممارسة هذا النوع من العقوبات ،ومما يذكر إن سلطان البورنو كان يحتفظ بأكثر من ٢٠٠خصياً مع حريمه ، وظل امتلاك أكبر عدد منهم من سمات العظمة ومثار فخر عند معظم حكام جنوب الصحراء المحليين ، فضلاً عن الطلب الشديد عليهم في أسواق البلدان الإسلامية في إسطنبول والقاهرة ومدن بلاد المغرب الأقصى[xlvi] .

كانت الطبقية الصارخة والتمايز الاجتماعي من أهم سمات التجمعات القبلية في أقاليم جنوب الصحراء ، ذلك أن الحاكم أو شيخ القبيلة يمتلك الأرض ومن عليها ولا راد لمشيئته إن هو أهدى عدداً من رعياه دون إن يعر بالاً ما اذا كان المَهدي مسلماً أو غير مسلم [xlvii] .ومما يلاحظ أن عدد الرقيق المقدم في الهدية تحدده قدرة المُهدِي وقدر المُهدَى اليه ، فمثلاً كان السنوسي الكبير[xlviii] يحصل على ٥٠ منهم من سلطان وداي سنوياً[xlix]. وكانت الزوايا السنوسية مراكز لتجمع الرقيق الذين يوقفون على هذه الزوايا لأغراض الأعمال الزراعية وما يتصل بها مثل رعي القطعان العائدة لها . وكانت مساحة الأراضي العائدة لهذه الزوايا تتجاوز 200ألف هكتار[l] في نهاية القرن التاسع عشر. وتقدر ملكية رئيس زاوية الجغبوب السنوسية وهي الزاوية الرئيسية في نهاية القرن ما يقرب من ٢٠٠ رأس موقوفين على خدمة السيد السنوسي شخصياً وضيوفه أو متابعة ممتلكات الزاوية .ولا يحق لأحد بيع أو إهداء أو تحرير عبيد الزوايا السنوسية ، فهم مرتبطون بالأرض في المقام الأول ، واذا حدث وتمكن عبد من الهرب فإنه يعاد إلى الزاوية من قبل (الأغيار) [li]. والمناسب أن نذكر أن هذا النمط من

العبودية كان شائعاً في الواحات المنشرة على مساحة الصحراء الكبرى ،إذ أن النشاط الزراعي فيها كان قائماً على جهودهم بالدرجة الاولى، وملكيتهم تنتقل بانتقال ملكية الأرض ،لاسيما من الأب إلى الابن[lii] .

وفي الوقت الذي يتلقى فيه السنوسيون هداياهم ، كانوا بدورهم يقدمون هدايا من الرقيق لمن يقدم لهم خدمات تستحق تلك التضحيات .فمثلا أرسل محمد المهدي السنوسي في عام ١٩٠٦جارية سوداء إلى عبد الله الكحال التاجر السوداني السوري الأصل المقيم في القاهرة ، والذي قام بدور وكيل تجاري للسيد السنوسي المقيم في الجغبوب ،وذكر حفيده أن جده استلم من السنوسي أربعة عبيد دفعة واحدة[liii] .وذكر أنور باشا فيما يتعلق ببرقة من مذكراته في أحداث يوم الرابع من تشرين الأول (اكتوبر)١٩١٢أنه استلم جاريتين سوداوين أُهديتا إليه من السيد أحمد الشريف السنوسي **"يا إلهي ماذا سأفعل بهاتين الجاريتين السوداوين"**[liv]، واذا كان المرء يجهل لماذا قدم الشيخ السنوسي هداياه لعبد الله الكحال ، فإنه لا يجهل مغزى تقديم هذه الهدية إلى البطل العثماني في غمرة وقوفه المشرف أمام العدوان الإيطالي على طرابلس وبرقة. ومما يذكر أيضا أن رابح الزبير[lv] أهدى سلطان وداي في خريف عام ١٧٩٤هدية قيمة اشتملت على٧٠٠ رأس من الرقيق و٥٠حمل من العاج و١٠قناطير من الريش و٥٠٠ قطعة قماش، مقابل فتح الطريق التجاري مع مملكة وداي البالغ الأهمية له ولجيشه، إلا أن السلطان رفض فتح الطريق أمام القوافل التجارية ، ذلك أن رابح كان يعتمد اعتماداً كبيراً على تجارة الرقيق في تجهيز جيشه بالأسلحة والذخائر، وفي إحدى المرات استبدل بالرقيق قافلة مكونة من ألف جمل محملة بالبارود [lvi].

وكان الإهداء شائعاً بين حكام دواخل ولاية طرابلس وولاتها لكسب رضاً او لنيل مكسب او لتغطية ضريبة ما . وفي ١٨١٩أرسل محمد المكني حاكم فزان كبير رجال بلاطه أبوبكر بوحلوم Aboo Bekr Boo Khalloom برفقة عشر جواري ترضيةً ليوسف القرمانلي، وثلاث أخرى لولي عهده، واثنتين لشقيقه ، وثلاث أخرى لوزرائه[lvii]. **"يوم الثلاث ١٤شوال ١٢٣٥[٢٥تموز(يوليو)١٨٢٠] قدم علينا القايد محمد المكني من بلاد فزان وجاب [جلب] معه عبد كثير"**[lviii]، ولم يرفض باشا طرابلس محمود نديم ١٨٦٠-١٨٦٦ هدية مقدمة من قائمقام فزان حليم بك قوامها عدد من الرقيق على حد زعم الرحالة الألماني رالف([lix]). او تلك الهدايا التي كانت تقدم الى الضباط والموظفين الأتراك سراً مقابل خدمات تقدم الى صاحب الهدية[lx] . كما يقدم الرقيق كهدايا لتمتين الأواصر بين الناس ؛ ففي رسالة بعث بها أحدهم من غدامس الى غات في عام ١٨٩٣، يوصي المرسل زميله في غات ليبعث له عبداً **"غليظ أحرش [خشن] برخسه [بسعر مناسب] خوذه [خذه]إلينا نبغيه لي صديق توجار[تؤجر]بإذن الله"**[lxi].

ومن الاسباب التي يتحول بنتيجتها الإنسان إلى الرق ، هو ان تلجأ العائلة إلى بيع أحد أو عدد من أفرادها لمواجهة أمر ما ، كالمجاعات مثلا لإعاشة بقية أفراد العائلة[lxii] ،أو لإشباع رغبات الآباء والأُمهات باقتناء بعض السلع التي يعمد تجار الرقيق إلى توريدها إلى الأقاليم السودانية والتي غالباً ما تكون تافهة وعديمة النفع أو إنهم لا يعرفون أقيامها واستعمالاتها ، إلا إنها ذات وقع ساحر في نفوس هؤلاء فتبادل بالرقيق والتبر. وفي ذلك كتب أندريه قنصل فرنسا في طرابلس في عام ١٧٨١مانصه: **" . . . إن الحلي الزجاجية وصناديق البنادق والنسيج والخرداوات النحاسية**

من مختلف الأنواع وبعض الورقيات والأسلحة ، تمثل لهم كنوزاً حقيقية ، فهي تخمد فيهم العواطف الغريزية ، تتنازل الأُم من أجل بعض عقود من الخرز عن ابنتها أو عدد من بناتها وتسليمهن الى تاجر الرقيق والأب يشوه ويبيع أبناءه على أمل الحصول على بندقية أو سيف " [lxiii] . وعلى أية حال فإن أعداد الرقيق الناجمة عن العقوبات والإهداء والبيع، لا تقارن بالأعداد الكبيرة التي تخلفها عمليات الإغارة أو القنص أو الرزي التي كانت سبباً في دخول أعداد كبيرة من البشر كسلع في هذه التجارة البعيدة عن المعايير الأخلاقية والإنسانية.

ترتبط أعداد الرقيق المنقولة عبر الصحراء بالطرق الصحراوية الممتدة منذ مئات السنين في شبكة معقدة من شواطئ البحر المتوسط إلى أقاليم جنوب الصحراء في اتجاه شمالي جنوبي تقريباً، ومن كردفان ودارفور في السودان الشرقي إلى السودان الغربي وموريتانيا في اتجاه شرقي غربي لنقل بضاعتهم الآدمية إلى حيث تحقق بيعهم أرباحاً ، فمثلاً بلغ سعر العبد في الصحراء الكبرى وجهات الجزيرة العربية خمسة أمثاله في الحبشة[lxiv] ، مما يدفع تاجر الرقيق إلى تجشم عناء نقل رقيقه عبر طرق غير مألوفة وباهظة التكاليف توخياً لأعلى الأرباح ، لاسيما بعد الحظر الذي فرض على تجارة الرقيق في مختلف جهات أفريقيا[lxv].

كان درب الأربعين الذي يبدأ من كوبي عاصمة كردفان إلى القاهرة أحد أشهر طرق نقل الرقيق بين السودان الشرقي ومدن وادي النيل ، وهو أكثر أهمية من طريق أخر يبدأ من سنار إلى القاهرة ايضاً ، لاختلاف أعداد الرقيق التي تنقل على كل واحد منهما[lxvi] . وسمى الطريق الأكثر شهرة بدرب الأربعين لان القوافل كانت تسير عليه بين أربعين إلى خمسة وأربعين يوماً متواصلة ، وكانت تتوقف حيثما وجد الماء، وتصبح الرحلة أقل خطورةً وأكثر يسراً عند دخولها وادي النيل عند قرى بارس والخارجة ومنفلوط، وينقل على هذا الطريق بين5,5 و6آلاف رقيق سنوياً أربعة أخماسهم من النساء[lxvii]. ويبدو أن هذا الطريق أُسر من قبل طريق وداي ـ بنغازي ،الذي ازدهر بصورة ملفتة للنظر بعد عام ١٨٥٥[lxviii]. أما الطريق الأقل شهرة فهو الطريق الذي يخرج من سنار في السودان الشرقي بموازاة نهر النيل حتى أسنا، ثم من خلاله إلى القاهرة ويتخذ تجار القوافل عرب العبابدة في صعيد مصر حراساً لبضائعهم وينقل على هذا الطريق حوالي ١٥٠رقيق سنوياً ، وهو عدد ضئيل إذا ما قورن بما يجلب على الطرق الأُخرى[lxix]،لاسيما وإن القاهرة تقع في نهاية شبكة من الطرق الصحراوية القادمة من فزان والتي تربط مدن وادي النيل بالصحراء الكبرى ، وهي تتقاطع مع طريق برقة النادر المياه الذي يبدأ من أباشر – بلى – الكفرة إلى جالو ومنها إلى بنغازي ففي تقرير غلبرت Gilbert القنصل البريطاني في بنغازي أن ٤٠٠ عبداً من بين١٢٠٠ كانوا متوجهين من وداي إلى بنغازي في عام١٨٤٩ قضوا عطشاً[lxx] . وتعد مدن أُوجلة والكفرة والجغبوب وسيوة وكرداسة على مشارف القاهرة ، نقاط مهمة على هذه الشبكة .

وهناك طريق آخر يربط مدينة درنة على ساحل المتوسط بمدينة الفاشر في دارفور مروراً بالجغبوب وسيوة وذكل وسليمة [lxxi] . وازدادت أهمية هذه الشبكة من الطرقات على الإجمال على أعتاب القرن العشرين في نقل الرقيق بعد أن توقف نقلهم على الطرق الأخرى، وبلغ عدد المنقول منهم على هذه الشبكة 10آلاف رأس سنوياً إلى بنغازي ودرنة ومدن وادي النيل [lxxii]. ومما يذكر عن هذا الطريق أن تاجر الرقيق محمد العامري وجه إلى مدن وادي النيل من مرزق عن طريق أُوجلة 1,100 رأساً من الرقيق بمفرده على حد زعم

الرحالـة رالـف[lxxiii] ، اذ تعـد أوجلـة مركـز إعـادة توزيع بين طرابلس والقاهرة .

ويعد الطريق الصحراوي الذي يربط حوض بحيرة تشاد بمدينـة طـرابلس الغـرب مـروراً ببيلمـا وكـوار ومرزق ، من أكثر الطرق أهمية في نقل الرقيق ، إذ يصل عدد المنقول منهم سنوياً إلـى 5 آلاف مـن أقـاليم الكـانم والبورنـو، يتعـرض نصـفهم للهـلاك ، على وفق تقدير جيمس ويلا رد [lxxiv] ، الأمر الذي عـرض الإقليم إلـى نضـوب معين السكان فيـه ، إذا عرفنـا إن الإقبـال يقـع علـى السكان فـي مقتبـل سـن الإنجـاب . وكـان هـذا الطريـق مُعلَّمـاً بكـرة البقايـا العظمية والجماجم لآلاف الرقيق الذين قضوا نتيجـة الإرهاق الشديد والعطش لحد الموت[lxxv]. وفي عام ١٨٤٨ كتب غـاغليوفي مـن مـرزق بـأن ٧٩٥ ًمـن أصـل١٧٧٠ عبـداً كـانوا قـادمين مـن برنـو ،قضـوا عطشاً ، وبعد خمسة أشهر كتب المومأ إليه نفسـه ، بـأن قافلـة كانت تضـم ١٦٠٠عبداً قضـوا عن بكـرة أبـيهم عطشـاً بعـد أن شـرب هـؤلاء المتـاعيس كـل الميــاه والــدماء المســتخرجة مــن بطــون جمــال القافلـة[lxxvi] . قـدر غيرهـارد رالـف عـدد الرقيـق الذين جلبوا فـي عـام ١٨٦٤ فحسب ٩٤٠٨[lxxvii] .

وتعود الزيادة الملفتة للنظر في أعداد الرقيق علـى هذا الطريق ، لاسيما فـي النصـف الثـاني من القرن التاسـع عشـر، إلـى تحـول الممـر الرئيسـي لتجـارة الرقيـق الدوليـة بعـد أن أحكمـت بريطانيـا سيطرتها على المنافذ الأخرى .

وهنــاك طريــق آخــر لا يقــل أهميــة عــن الطــرق الاخرى وهو الطريق الذي يبدأ من مدينـة طـرابلس الغرب إلى غدامس ومنهـا إلـى غـات ، التـي كانـت مفترق طرق بالغة الأهمية في الصحراء فمنهـا إلـى زنـدر وكـانو فـي السودان الأوسط ومنهـا إلـى عين صـالح ،التـي أضـحت ايضـاً مركـزاً لإعـادة التوزيـع فمنها إلى تمبكتو أو إلى مراكش أو إلى النيجر عبر أدرار وتـاودني إلـى تنـدوف أو تافيلالـت[lxxviii]. و بما أن هذه الطرق بمجمعها مرتبطـة بتجـارة الرقيق فإنها اندثرت تماماً فـي بدايـة القرن العشـرين نتيجـة أولى لانقطاع هذه التجارة [lxxix] .

كانت طرق القوافل تمر بعدد من المراكز والواحات المنتشــرة فــي طــول الصــحراء وعرضــها ، التــي تحولت إلى مراكز لراحـة القوافل واسواق تجاريـة لتبــادل الســلع المختلفــة ، ومــن أبرزهــا غــدامس ومــرزق وغــات وعــين صــالح و ورقلــة وأوجلــة وسوكنة والكفرة وجالو والجغبوب وسيوة وكرداسـة ، وكانــت زويلــة علــى وجــه التحديــد مركــزاً هامــاً لتجارة الرقيق فـي الصـحراء الكبـرى ، بين حـوض بحيـرة تشـاد وبرنـو ووداي وبـلاد الهوسـا فـي شمال شرق نايجريـا والسودان الشرقي وبلاد الفور، من جهـة ، وطـرابلس الغـرب مـن جهـة أخـرى ، فــي العصــور الإســلامية المختلفــة[lxxx] . واشــتهرت بعضــها بحياتهـا اللاهيـة فـي القـرن التاسـع عشـر كمرزق ، التي استحقت لقب باريس الصـحراء[lxxxi] ، والتي اعتمدت في رخائها على تجـارة الرقيـق ، وكانت مخزنـاً هائلاً للرقيق الـذين يشكلون٨٠%مـن تجارتها واذا أضيف الذهب المار بالمدينـة الـى هذه النسـبة لأصـبحا يشـكلان٩٠% مـن التجـارة المـارة فيها ، شانها في ذلك شـأن غدامس ومدن الصـحراء الاخـرى، الامـر الـذي أثـر علـى التركيبـة الأثنيـة فيهـا،" **فـزان مدينـة أغلب سكانها من السـود تقـع على بعد أربعين يومـاً مـن طـرابلس**"[lxxxii]، علـى حد تعبير ديلاني قنصل فرنسا العام في طرابلس في عـام ١٦٨٦ . وعلـى الـرغم مـن إن ديلانـي كتـب تقريـره اعتمـاداً علـى السـماع ، إذ لا يبـدو انـه زار مـرزق فـي هـذا الـزمن المتقـدم ،إلا أن مـا جـاء فـي تقريره يـدل دلالـة واضـحة علـى حجم هذه التجـارة ودور المدن الصحراوية وأثرها فيها . بيد ان جـون لايـون ذكـر بكونـه شـاهد عيـان أن قافلـة كبيـرة مـن عـرب طـرابلس والتبـو قـدمت مـن البورنـو ومعهـا ١٤٠٠رأساً من الجنسين ومن كل الأعمار وذلك في

آب(اغسطس)١٨١٨. وفي ١٦ كانون الثاني (يناير)١٨١٩ ودرجة الحرارة٤° " **جلس العبيد يرقبون الغرباء وهم عرايا[تماماً] ودهنت أجسادهم بالزيت لتبدو في حال أفضل ، بينما ذهب الباقون لجمع دماء الجمال التي تذبح لطبخها وأكلها**"(lxxxiii) .

وبلغ الرقيق من الكثرة إلى الدرجة التي معها عينت الحكومة العثمانية شيخاً لهم منهم في مدينة غدامس أسندت إليه الحكومة مراقبة سلوكهم في المدينة ومحاسبتهم عن تصرفاتهم النابية. وهو يعرف أسمائهم وأصولهم جميعا رغم أن عددهم تجاوز المائتين ،" **كما ستصل أعداد أخرى قريباً من السودان**"(lxxxiv). وتظهر أهمية هذا العدد من الرقيق وغلبتهم في مدينة لا يتجاوز تقديرات سكانها بأكثر من ثلاثة آلاف نسمة، كانوا يتخاطبون بسبع لغات إنما يعكس مدى التنوع العرقي في مدينة نائية من المفترض انها لا تضم سوى سكانها الأصليين .ويسهب ريتشاردسون في الكلام عن سوق الرقيق في غدامس ، "**ذهبت اليوم [٧تشرين الاول (أكتوبر) ١٨٤٥]لرؤية الرقيق الذين أحضروا مؤقتاً وعرضوا للبيع كأي سلعة في صفوف البضاعة للبيع . . .وأخبرني تاجر التبو إنه إبتاع عبيده الستة من إقليم البورنو . . . كما أخبرني عن ثلاثة وثلاثين آخرين ملك لتجار الطوارق**"(lxxxv) .

وفي معرض حديثه عن مدينة غات وصف ريتشاردسون امتلاك حاكمها (سيدي المرابط) قرابة خمسين من الرقيق فضلا عما يملكه من محظيات ، وفي حالته هذه لم يترفع عن إرسال بعض أولاده إلى السودان للمتاجرة بالرقيق بعد أن أدرك مدى الأرباح التي يمكن أن يصيبها من وراء الانغماس بهذه التجارة الرثة ،رغم مركزه الاجتماعي والديني . وقدم لنا وصفاً عن بعض أحوالهم لا يخلو من العاطفة عن إحدى ليالي وجوده في غات "**رقص العبيد البؤساء ليلة البارحة حتى منتصف الليل . . . وسمح لعبيد القافلة الانضمام إليهم وقضاء السهرة** "(lxxxvi) .وكان لهؤلاء البؤساء الاستفسار عن ذويهم من القادمين الجدد إلى غات ، الذين قدرهم ريتشاردسون قرابة الألف ،فيما قدر عدد التجار القادمين من الشمال والجنوب أصحاب الإبل ومرشدي القوافل بخمسمائة في الموسم الواحد ، مما له الأثر البالغ على مستوى أسعار الخدمات والمواد الغذائية والسلع الاستهلاكية الأخرى . وقدم لنا ذلك الرحالة وصفاً مؤثراً لقافلة خرجت من غات باتجاه مرزق مكونة من أحد عشر جملاً، وجلبت معها خمسة وستين عبداً "**أخذوا بترديد اغنية جماعية لرفع معنوياتهم لمواجهة مرحلة جديدة**"(lxxxvii) .

وكانت الصحراء الكبرى بمراكزها وممراتها مخزناً هائلاً لهذه البضاعة الآدمية ومروراً لهؤلاء التعساء إلى الأسواق حيث خمن ريتشاردسون عدد سكان سوكنة بخمسة آلاف ونصف أكثر من ثلثهم من الرقيق ، بينما يقدر عدد سكان زيغن بخمسمائة من الرجال والنساء الأحرار مقابل سبعمائة من الأطفال والعبيد ، إن نسبة العبيد قد تصل إلى النصف ، وأردف " **واصلنا سفرنا ووصلنا إلى قرية أُم العبيد التي كانت اسماً على مسمى** "(lxxxviii) . وكانت واحة سوف إحدى الممرات الرئيسية للرقيق إلى ميناء الجزائر ، أحد مراكز إعادة التصدير في شمال أفريقيا قبل الغزو الفرنسي في عام ١٨٣٠وبعد إلغاء تونس لهذه التجارة عام ١٨٤٣ ، وربما حصل تجار سوف تشجيع نابليون الثالث عند وصوله إلى السلطة في فرنسا في عام ١٨٤٨، وإعلان سياسة توسيع الهيمنة في جنوب الجزائر بالاستيلاء على الأغواط في عام ١٨٥٢ ، وعلى تورغوت في عام ١٨٥٤ في إطار سياسة حكومة الجزائر الفرنسية الرامية إلى تحويل التجارة السودانية إلى المراكز التجارية في جنوب الجزائر، واتخاذ الإجراءات الكفيلة بذلك ، ومنها إلغاء

الضـرائب علـى التجـارة المتوجهـة إلـى الجزائـر وزيادتهـا علـى تلـك المماثلـة المتجهـة الـى طـرابلس بنسبة ٢٠-٢٥% وتحسين علاقتها بـالطوارق وأهل تـوات وغـات وتشـجيع تجـار الرقيـق تحـت ذريعـة **"الانتقال الحر للأيدي العاملة"**(lxxxix).

ويبدو أن تجار سوف لهم حضور متميز بين التجار الذين كانوا يرتادون المراكز التجارية الصحراوية ، وهم تجـار رقيـق نهـازون ، وفـي كـل مـرة يطلقـون إشاعات عن قرب التصادم بين الشعانبة والطوارق ، لإثـارة الرعـب بـين تجـار الرقيـق ليتسـنى لهـم شـراؤهم بالأسـعار التـي يرونهـا مناسـبة . ورصـد ريتشاردســون وجــودهم فــي ســوقها ، **"بيـــع اليـوم[١١تشـرين الاول (اكتـوبر)١٨٤٦] أربعـون عبـداً إلـى أولاد سـوف أحضـرهم الطـوارق وأحـد التبو "**. وكـان هؤلاء من النشـاط إلـى الدرجـة التـي وصفهم فيه(الرايس)؛ حـاكم غـدامس العثمـاني ،**"إن غدامس خاليـة مـن النقـد إلا[مـن] بعـض مـا يجلبـه معهم تجار سوف لتلبية حاجة الجزائر من الرقيق"**(xc) .وكانو يتعاملون بالدولار أو بعملة فرنسية من فئة خمسة فرنكـات التـي أصبح التعامل بهـا ممكنـا بعـد الاحـتلال الفرنسـي للجزائـر. ولا يـدفع هـؤلاء ضــرائب الــدخول أو الخــروج للسـلطة العثمانيــة ،لاسيما فـي غدامس وغـات النـائيتين عن طـرابلس سوى ما يدفعونه من ضرائب البيع والشراء(xci) .

تباينت تقديرات حجم هذه التجارة من شخص لآخر ومـن فتـرة لأخـرى لأسـباب ارتبطـت بـالظروف الموضـوعية للمنطقـة ، مثـل اسـتتباب الأمـن علـى الطـرق الصـحراوية أو عدمـه لانـدلاع القتـال بـين قبائــل الصـــحراء ، أو بـــين الســـلطة العثمانيـــة والخارجين على سلطتها ، أو القتال الضروس الذي دار بـين الأميـر عبـد القـادر الجزائـري والغـزاة الفرنسيين فـي الـدواخل الجزائريـة ، أو فـي الأقـاليم التي تصدر الرقيق ، أو في الجهات التي كان يصدر إليهـا . إلا أن القـرن التاسـع عشـر يعـد مـن أشـد الفترات ازدهاراً في تأريخ هذه التجارة المزرية ، اذ قدر رالـف أوستن أعداد الرقيق المجلـوب عبـر الصحراء بين عامي ١٨٠٠ و١٨٨٠ بنصف مليون إلـى مصـر وربـع مليـون إلـى المغـرب الأقصـى ، فضــلاً عمـا صــدر عـن طريـق طـرابلس الغـرب وبنغازي ودرنة وموانئ تونس والجزائر(xcii)، التي لا توجـد فيهـا معطيـات دقيقـة عـن أعـداد الرقيـق المصدر منها ، على الرغم من كل تقديرات قناصل الدول الأجنبيـة المقيمين في هذه الموانئ والرحالـة الأجانـب الـذين جـابوا الصـحراء مـن الشـمال إلـى الجنوب ومن الشرق إلى الغرب طيلة القرن التاسع ، والتي كانت أقرب إلى الواقع ، لأنهم شـهود عيـان تجـارة الرقيـق الصـحراوية فـي دائـرة اهتمامـاتهم ، على الرغم من إن تقديراتهم لا تخلو مـن الأغـراض ، وربما تشوبها المبالغات في بعض الأحيان ، وهـي بالتالي تبقى محظ تخمين. فقد قدر جون لايون الذي سبقت الإشـارة إليـه حجـم هذه التجـارة بمقدار 3, - 4,آلاف رأس من الرقيق كانوا يصدرون عن طريق مينــاء طــرابلس ســنوياً(xciii) ، وقــدرهم القنصــل السـويدي فـي طـرابلس بـين عـامي ١٨٢٣و١٨٢٨ ٢٥٠٠رأس سنوياً(xciv) ، وأشـار كلابرتـون ودنهـام Clapperton&Denham إلـى أن أعـداد الرقيـق الذين قدموا إلـى مدينـة طـرابلس من بـلاد الهوسـا ، وصـلت إلـى ألفـي رأس سـنوياً(xcv) . إلا أن الباحـث توليـدانوToledanoأعطـى إحصـائيات دقيقـة عـن أعداد الرقيـق الـذين جلبـوا إلـى مـرزق بـين سنوات ١٨٤٢ و١٨٥٤أي قبيـل حظـر تجـارة الرقيـق فـي الدولة العثمانية في عـام ١٨٥٦، والإحصـائيات كمـا أوردها ؛ بلغ عدد الرقيـق الـذين عبـروا مـرزق فـي عــام ١٨٤٢، ٢٣٨٤ وكــانوا فــي عــام ١٨٥٢ ، ٢٤٥٨، وبلـغ عـددهم فـي العـام الـذي يليـه ٢٦٠٩، وازدادوا فــي عــام ١٨٥٤زيــادة ملحوظــة اذ بلــغ عددهم ٢٩٠٠(xcvi) . واستمرت الأعداد بالتصـاعد في السنوات اللاحقة ، لاسيما عقب قرارات الحظر

العثمانية في عامي ١٨٥٦و١٨٥٧، إذ ارتفع العدد عند بارثBarthإلى أكثر من5,آلاف رأس[xcvii] ، بلغ عدد المصدر منهم الفي رأس عن طريق طرابلس فحسب، سوى من كان يصدر من المنافذ الأخرى، كمنفذ بنغازي ودرنة [xcviii].

كان إحكام السيطرة على ميناء طرابلس أيسر منالاً على الحكومة العثمانية وأوفر لمرضاة القناصل الأجانب من مدينة بنغازي النائية عن مراقبتهم ، لذا تحولت إلى المنفذ الرئيس للتصدير بعد عام ١٨٥٧، وقد جاء في إحدى الوثائق أن مجموع ما عبر ميناء بنغازي من الرقيق خلال شهري تشرين الأول(أكتوبر) من عام ١٨٥٢بلغ ٤٩٩رأساً[xcix] .ويبدو أن تراجع وتائر هذه التجارة عند غاغليوفي كان ناتجاً عن اضطراب الأمن في المنطقة وهجمات قطاع الطرق على القوافل التجارية [c] ، أكثر منه انخفاض وتائرها بسبب الوعي العام بعدم جدواها ومنافيتها للمعايير الأخلاقية أو المراسيم السلطانية الآمرة بالحد منها ، ففي الوقت الذي انخفضت فيه وتائر المصدر منهم من ميناء طرابلس ، ارتفعت اعداد المصدر منهم من وداي إلى بنغازي إلى 10آلاف رأس بعد العام ١٨٥٧[ci] . واعتقد ستونغرStaudingerأن الرقيق كانوا أهم البضائع في قائمة البضائع المستوردة من السودان حتى العام ١٨٨٠، واعتقد روبنسنٌRobinson إنهم يصدرون حتى العام ١٨٩٠ بأعداد كبيرة[cii] .

إلا أن هذه المعطيات تبقى ناقصة لأنها ركزت على أعداد الرقيق المصدر من طرابلس وبنغازي وإهمالها لأعداد الرقيق الذاهبة إلى المغرب الأقصى والجزائر وتونس ، أو الوافدة إلى مدن وادي النيل بعد توقف التجارة على درب الأربعين .

كانت الرحلات الطويلة والمضنية على الطرق الصحراوية مروراً بالمراكز والقصبات والمدن الصحراوية ، تنتهي بالرقيق إلى أسواق القاهرة وبنغازي وطرابلس الغرب وتونس والجزائر والصويرة وغيرها من مدن الساحل الشمالي لأفريقيا . وتعد القاهرة واحدة من أكبر الاسواق استقبالاً للرقيق إذ يجلب إليها اكثر من 6آلاف رأس سنوياً من أقاليم السودان المختلفة عبر شبكة الطرق المشار إليها[ciii] ، وكانت الإناث تشكل الاغلبية في هذا العدد ممن تتراوح أعدادهن بين العاشرة وسن البلوغ ،ويفضل هذا السن للجنسين حتى يسهل تدريبهم وتعليمهم .وكانت مدن الصعيد هي الأخرى أسواقا ًمهمة لهذه التجارة ، ومن لم يباع في أسنا أو اسيوط من الرقيق ينقل إلى القاهرة، التي تعد واحده من أهم اسواق الرقيق في العالم[civ] .

على طول شارع الصنادقية في حي الأزهر إلى خان الخليلي في وسط القاهرة تنتشر وكالات الجلابة وهي أسواق الرقيق ، ومن أبرزها وكالة الجلابة الكبرى التي تضم مساكن تجار الرقيق ، وأغلبهم من ابناء الصعيد أو من التجار القادمين من مختلف أقاليم الدولة العثمانية ومدنها مثل أزمير وإسطنبول ومدن الليبانتو، وأماكن مبيت السماسرة والدلالين[cv]. وأصبحت هذه الوكالة لجدواها الاقتصادية وضخامة أعداد الرقيق المجلوبة إليها ورواج المتاجرة بهم ، تعطى لملتزم كان يعرف بشيخ الجلابة وهو الذي ينظم علاقة هؤلاء بالدولة ويستحصل الرسوم عند بيع العبيد مقابل إصداره الحجة اللازمة لذلك ، وفيها يدرج اسم العبد وجنسه وبائعه ومشتريه والمكان الذي تمت فيه العملية وشروط البيع الأخرى ، وتبقى هذه الحجة ملازمة للعبد عند إعادة بيعه وتسلم له عند عتقه . وأصبح لطائفة الدلالين في وكالة الجلابة شيخاً . وبلغ شيوخ طائفة الجلابة على درجة عالية من الثراء[cvi]. ولم تكن القاهرة مركزاً لإعادة التصدير إلى خارجها مقارنة بالمدن المماثلة ، على الرغم من ضخامة أعداد الرقيق المجلوب إليها والذي يستخدم في أغراض شتى كخدم في المنازل ولإشباع رغبات الأغنياء بالتسري وهو ما يفسر الطلب الكبير على

الإمـاء بـين الرقيـق، او للخدمـة فـي المـزارع أو لتحويلهم إلـى خدمـة الدولـة وهو مـا سبقت الإشـارة إليه[cvii] .

ولـم يكـن استيعاب مدينـة طـرابلس التـي كانـت أهـم أسواق الرقيق في الدولة العثمانية وربمـا فـي العـالم آنـذاك والتـي تنتهـي فيهـا شبكة طـرق القوافـل آنفـة الـذكر ، يتناسـب مـع الأعـداد الكبيـرة مـن الرقيـق المجلوب إليها بسكانها الذين ما كـانوا يتعدون بضـع عشـرات مـن الآلاف فـي أفضـل الأحـوال [cviii] . وإلى ذلك يشير فريزرFraser المقيم الإنكليزي في طـرابلس فـي مذكرتـه إلـى حكومتـه فـي ٢٤آب (أغسطس) ١٧٦٧ **"فإن ميناء طرابلس منذ بعض القرون مستودع الرقيق الأسود في البحر المتوسط "**[cix] ، الأمـر الـذي أدى إلـى تغيير الطبيعـة الأثنيـة للسكان بارتفـاع نسبة السـود مقارنـة بمدينـة تـونس مـثلاً[cx] ، وهـي لا تـؤدي أكثـر مـن دور إعـادة التصدير إلى أماكن اخرى .

ويعد اليوم الـذي تنـزل فيـه سفينة جديـدة إلـى البحـر مـن أيـام السـعد ، ويـربط عبـد أسـود فـي مقـدمتها ليكون فألاً حسناً وفاتحة مناسبة عمـا ينتظـر السفينة من خير عميم من جراء نقلها للرقيق[cxi] . وقد قدر دي لانسـي De Lancy المقـيم الفرنسـي فـي طرابلس عدد المصدر من الرقيـق ٢٥٠٠رأس[cxii] ، وقد وصـف ديفـالييرDe Valliere قنصل فرنسا فـي المدينـة بـين كـانون الثاني(ينـاير) وأيار(مايو)وصول الرقيق إلى المدينـة **"حتى اليوم [٣١كـانون الثـاني(ينـاير)]تـأخرت قوافـل فـزان وغـدامس لأكثـر مـن شـهر بسـبب الأمطـار والبـرد و[ستجلب] قافلة فزان معها أكثر من ٧٠٠ [عبد] أسـود ومنتظـر وصـولها فـي أيـة لحظـة . وقافلـة غدامس منتظرة في ١٥ يومـاً** " وأضـاف **"وفـي ٩ فبراير (شباط) وصلت قافلة فزان التي كان منتظراً وصولها منذ وقت طويل ، [وجلبت معها] ٦٨٠ عبـداً وأمـة** " وقـال أيضـاً **"وفـي يـوم ٢١فبراير(شـباط) أسـعد الطرابلسـيين وأفـرحهم وصـول قـافلتين مـن فـزان وغـدامس ، وأحضرتا معهما ١١٠٠ عبداً وأمه وأن القوافل الأربع [التـي وصـلت] أحضـرت معهـا ٢٠٠٠عبـداً وأمـة وستنتعش الحياة [الاقتصادية]التي كانت راكدة في هذه البلاد ،أن الميزة التي نحصل عليها[هي]توفير العمل لبواخرنـا لنقل العبيد إلى المشرق**" وأردف **"وفـي ٣مايو(آيـار) وصـلت منـذ قليـل قافلـة مـن تمبكتـو وأحضـرت معهـا ٣٠٠عبـد وكثيـراً مـن التبر"**[cxiii]. وهكذا وصـل الـى المدينـة ٢٥٥٥رأسـاً من الرقيق في أربعة اشهر ، مع ملاحظـة أن القـرن الثـامن عشـر لـم يكـن قرنـاً ذهبيـاً فـي تجـارة الرقيـق مقارنة بالقرن اللاحق ، الذي استحقت فيـه طـرابلس الغـرب لقـب **"بوابـة أفريقيـا"**[cxiv]،لأهميتهـا كممـر رئيس لجانب هـام مـن الرقيـق حـول العـالم و أسـهب ريتشاردسون وبشكل يومي ودقيق في وصـف قافلـة من الرقيـق قدمت إلـى طـرابلس من مـرزق كانـت تحمـل معهـا ١٣٠رقيقـاً ثلثـاهم مـن النسـاء [cxv]. أن اختلاف التقديرات لأعداد الرقيق المار في طـرابلس البـادي فـي سياق البحـث نـاتج عن حقيقـة ، أن لـيس كـل الرقيـق المـار فـي فـزان يصـدر عـن طريـق طرابلس ، بل وكما أسلفنا من قبل يـذهب شـطر منـه إلـى بنغـازي أو إلـى القـاهرة ،ولـيس كـل الرقيـق الواصل إلى طرابلس يـأتي عن طريـق مـرزق ، إذ يـأتي جانب منـه عن طريـق غـات –غـدامس أو من تونس بعد حظر هذه التجارة في عام ١٨٤٣.

تسـتقبل طـرابلس تجارتهـا فـي ثلاثـة اسـواق ، كـان السوق الكبير أبرزها ، حيث ينادى المزايدون علـى السـلع القادمـة والذاهبـة إلـى اقـاليم السـودان . وقـدم لايون وصفاً لسوق الرقيق " **قدر لي أن أزور سوق العبيد مراراً والمشهد لا يختلف عنه في طرابلس ، وهنـاك مزايدون وبـائعون بقدر مـا فـي السـوق مـن عبيـد ، يهرولـون هنـا وهنـاك ويتصـايحون بـأعلى أصـواتهم...**"[cxvi] . أمـا السـوقان الآخـران فيعقـد

احدهما في يوم الثلاثاء خارج أسوار المدينة وكان يسمى سوق الثلاثاء ، ويعقد السوق الثاني في يوم الجمعة على بعد أربعة أميال من سوق المدينة في حدائق المنشية وهو سوق الجمعة [(cxvii)] . ويبدو أن السوقين كانا ملائمين تماماً لعرض وبيع الرقيق لبعدهما عن مراقبة قناصل الدول الأوربية بعد أن أصبحت تجارة الرقيق عملاً منافياً للقانون.

وأينما ما كان البيع فإن طرابلس تستقبل وتعيد تصدير نصف أعداد الرقيق التي تجتاز الصحراء الكبرى باتجاه الشمال ، وكان النصف الآخر يذهب إلى الجزائر وتونس والمغرب بالتساوي . وجاء في تقرير وارنغتون قنصل بريطانيا العام في طرابلس في عام ١٨١٨إلى حكومته ؛ أن مجموع ما أُعيد تصديره من طرابلس إلى مختلف البلدان بلغ ١٣٠٠عبداً ، ارتفع هذا العدد في السنوات اللاحقة إلى ٢٠٠٠عبد على وفق ما ذكرته جمعية مكافحة تجارة الرقيق البريطانية[(cxviii)] .وفي ذلك ذكر كروCrow قنصل بريطانيا العام في طرابلس في تقريره الموجه إلى كانينغوCanengao السفير البريطاني في إسطنبول بان عدد الرقيق المصدر إلى بلدان الليبانتو بلغ ١٤٧٤في عام ١٨٤٩، تضاعف هذا العدد فوصل إلى٢٧٣٣في العام١٨٥٠ [(cxix)].

في موانى طرابلس وبنغازي وتونس والجزائر والإسكندرية (بدرجة أقل)ينتهي دور التجار المحليين ويبتدئ دور التجار وربابنة السفن الأوربيين كالإيطاليين والإنكليز ولاسيما الفرنسيين ، إذ يمثل نقل الرقيق مصدر إثراء لهم ، وفي تقرير دي لانسي آنف الذكر ما يؤيد ذلك " **تؤجر ثمان الى تسع سفن فرنسية لنقل عبيد سود[من ميناء طرابلس] الى الشرق ، وهوما يعود على فرنسا بحوالي عشرين ألف جنيه فرنسي"**[(cxx)] . وفي المعنى نفسه كتب فريزر القنصل البريطاني في طرابلس في الفترة نفسها "**إن الربح الوحيد الذي يمكن أن تحصل عليه سلطة مسيحية من هذه التجارة [الرقيق]هو تقديم الخدمات التي يطلبها المغاربة ، وهي تأجير السفن إلى القسطنطينية**"[(cxxi)] . وأظهرت تقارير حركة السفن من وإلى طرابلس ، أن نسبة السفن المخصصة لنقل الرقيق تصل إلى١/٦من مجموع السفن الخارجة من الميناء المذكور ، وبمعرفة عدد تلك السفن يمكن حساب عدد الرقيق الذين أعيد تصديرهم إلى بلدان الشرق والليبانتو، والذي لا يقل بحال من الأحوال عن ٢٠٠٠ رأس في مطلع القرن التاسع عشر قبل أن تتحول الصحراء إلى الممر الرئيس للرقيق في العالم **[(cxxii)]**.

وأظهرت تقارير حالة السفن الفرنسية القادمة من موانئ البحر المتوسط مثل سانت تروبيز وأغد وسيوتات وسين ومرسيليا وكاسيس ومارتينيق ، وهي سجلات تكشف حركة السفن وحمولتها والوجهة التي كانت تقصدها ،أظهرت أن عدد السفن التي حملت رقيقاً وغادرت ميناء طرابلس كانت ٤٤ من مجموع ٢٤٥سفينة ، وكانت كما يلي : ذكرت أزمير ٢٥ مرة وشيو ١٦مرة والمورة ٦مرات ولارنا ٦مرات وأثينا وبتراس والإسكندرية وسالونيك وكاندي وتونس والجزائر مرة واحدة لكل منها ، ومن المرجح أن السفينة الواحدة تزور أكثر من ميناء في السفرة الواحدة[(cxxiii)]. إلا المتعارف عليه أن أكبر عدد من الرقيق المصدر من طرابلس وموانئ الرقيق الأخرى ذهب إلى إسطنبول ليباع بأسعار مجزية[(cxxiv)]. وتتأثر أعداد الرقيق المصدر من طرابلس بالأوضاع الأمنية والسياسية والصحية العامة في المدينة ، كخلوها من الأوبئة وعدم تعرضها للمجاعة ، وقد برر أندريه D'Andreازدهار التجارة الصحراوية عقب انتفاضة سيف النصر ضد الحكم القرمانلي في النصف الثاني من القرن الثامن عشر، بالعلاقات الطيبة بين العرب من أولاد سليمان والفرنسيين ،

والهدوء الذي أعقب تلك الانتفاضة ، وذلك بمغادرة ميناء طرابلس ٤٠ سفينة من بينها خمس لنقل الرقيق وثلاث كانت تنقل بعضا منهم [cxxv] .

أسعار الرقيق والآثار الاقتصادية للإتجار بهم على الأنظمة السياسية

كانت أسعار الرقيق تتحدد بفعل عوامل العرض والطلب كأي سلعة تجارية أخرى ، وكلما ازداد المعروض منهم وقل الطلب عليهم انخفضت أسعارهم والعكس صحيح . وبقي الطلب على الرقيق قائماً بتوالي العصور، وكما إن ازدياد الأعداد المعروضة منهم حالة مرادفة للحروب المحلية المحدودة بين القبائل والجماعات المتناحرة في الأقاليم المصدرة لهم مع سيادة السلام بشكل أشمل وأعم وعدم اندلاع الحروب على نطاق واسع التي من شأنها تقطع سبل ورودهم ، لذا فأن استتباب الأمن على هذه الطرق شرط أساسي لازدياد المعروض منهم ، وفي ذلك ذكر جيمس ريتشاردسون" **أخبرني التبو تاجر الرقيق بعزوف التجار في غدامس عن دفع أكثر من ٣٥محبوب للرأس الواحد ،وتمسك هو بسعر أعلى بمقدار خمسة محابيب "** لكثرة المعروض منهم[cxxvi]. أما ازدياد الطلب على الرقيق حول العالم ربما كان عائدا إلى منع التاجرة بالرقيق من قبل بريطانيا بما لها من سطوةً، وإحكام سيطرتها على منافذ تصدير الرقيق من شواطئ أفريقيا الشرقية والغربية، وازدياد الطلب على السكر والمنتجات المدارية الأخرى القائمة بالأساس على أكتاف الرقيق في أمريكا الوسطى والجنوبية وجزر البحر الكاريبي .

كانت أقيام الرقيق لاسيما في الأقاليم السودانية تغطى في الغالب ببضائع صناعية قادمة من الشمال بأسلوب المقايضة ، لذا تتأثر أقيام هؤلاء بكميات السلع المعدة للمقايضة فكلما زادت كميات هذه السلع بفعل أساليب الإنتاج الواسع التي سادت الدول الأوربية عقب الثورة الصناعية ، هبطت أسعارها وارتفعت في المقابل أسعار الرقيق. فضلا عن مؤثرات أخرى مثل تكاليف النقل والإطعام والهلاكات التي قد يتعرض لها البعض منهم ،ومقادير ضرائب الدخول والخروج الواجب دفعها عند أطراف المراكز الصحراوية والضرائب الواجب دفعها للحكومات وإتاوات قطاع الطرق وحكام الأقاليم وشيوخ القبائل الذين كانوا يسبغون حماياتهم على القوافل ، كل في إقليمه أو مرابعه. وتؤثر في أسعار الرقيق أعمارهم وأجناسهم ، ذكوراً كانوا أم إناث ، ومهاراتهم وأُصولهم وهكذا .وفي هذا الشأن كتب دي لاكروا Petis de Lacroix القنصل الفرنسي في طرابلس الغرب بأن العبد الذي يشترى من البورنو بثمانية قروش يساوي في فزان أربعة وعشرون قرشاً في فزان بينما يساوي سعره في طرابلس٤٠-٦٠قرشاً أي ١٥٠جنيهاً فرنسياً ، وهوما أكده لوميرLemaireفي عام١٧٠٥ [cxxvii] (يأخذ بالحسبان تغير قيمة العملة بمرور الزمن).

يقايض الرقيق بكل أنواع البضائع وفي أحيان كثيرة مقياساً لمستوى أسعار البضائع الاخرى. وفي إقليم البورنو يزداد الطلب على الخيول وكانت أسعارها ترتفع تبعاً لذلك . وبناءً عليه تتم مقايضة الخيول بالرقيق ، حيث يأتي التبو بالخيول من الشمال ويأتي تجار البورنو بالرقيق من الجنوب ، وبعد الاتفاق يؤوب التبو بالرقيق ويذهب تجار البورنو بالخيول ، ثم يبيع تجار التبو رقيقهم إلى تجار الساحل في غات أو في مرزق . وكان الحصان الواحد يقايض في بورنو بخمس عشرة جارية في المتوسط في حين تباع الجارية في مدن الساحل ب٨٠-١٥٠ دولاراً [cxxviii] . ويستبدل الرقيق بالأقمشة والملابس والأسلحة والحيوانات الحية ، وذكر لايون إن أحدهم قايض سبع ياردات

من القماش الأحمر بتسع جوار يافعات جيء بهن من بلاد الهوسا[cxxix] ، وإذا ما قايض تاجر الرقيق قميص الـSamia المصنوع من الحرير المخلوط بـالقطن بجارية تكـون المقايضـة عادلـة [cxxx]. وتقايض القطط المتوحشة الكبيرة (يستخرج من تحت أذنابها عطر الزباد) بثلاثة أو أربعة أعبد للقطة الواحدة [cxxxi] ، ومما يحكى عن أحد زعماء الطوارق أنه قايض جارية كانت عنده بضب كان يؤكل من أجل فوائده الطبية[cxxxii] ، وقد يبادل الرقيق بالبضائع الأُخرى ؛ فالعباءة تعادل عبداً واحداً والسيف يعادل عبدين[cxxxiii] .

وكانت أسعار الإماء إطلاقاً أعلى من أسعار الرقيق الذكور بمقدار الضعف أو الضعفين لارتباطهن بالتسري الذي كان شائعا بين الأثرياء من المسلمين، أو بالخدمة في المنازل لاسيما لأولئك القادرين على دفع أسعارهن [cxxxiv]. وما يذكر عن محمد المكني القائد العثماني آنف الذكر انه كان متزوجاً بواحدة فحسب ، إلا إنه كان يحتفظ لنفسه بخمسين جارية ، كن يقمن على خدمته ولإشباع رغباته الجنسية ، " **ويعد هذا الرقم متواضعاً عند الكلام عن سلطان فزان** " [cxxxv]. وكان الذكور المخصيون الأعلى سعراً بين الذكور، ومن أجلهم تشتد المنافسة بين تجار الرقيق المصريين والأتراك والمغاربة والميسورين من الأقاليم السودانية، لاستخدامهم في رعاية المنازل وإدارة شؤون الحريم والقيام بأعبائهم في العائلات المسلمة [cxxxvi]، أو لإظهار مقدار العظمة والثراء ، فمثلا يحكى عن سلطان البورنو إنه كان يحتفظ بمائتين مع حريمه. ومع ذلك كان التجار الأتراك أشد إقبالاً على اقتناء أحد هؤلاء ودفع مائتين أو ثلاثمائة دولار ثمناً لأحدهم لمرافقة حريمه في مدن الدولة العثمانية[cxxxvii] .

ويبقى جمال الأمة وعمرها وما تجيد صنعه معايير للمفاضلة بينهن وبالتالي تحديد أسعارهن ، فمثلاً ينادى على الجارية بالقول "**انها تجيد التدليك والبحث عن القمل** " ، وتوصف جواري التبو بالجمال وكن يلاقين رواجاً في أسواق الرقيق إذ كن يوصفن بالوسامة والشعر المنسرح والشفاه الرقيقة والأُنوف الأقنية الصغيرة، على الرغم من بشراتهن السوداء[cxxxviii] . وعلى العموم يفضل أُولئك القادمون من بلاد الهوسا لما لهم من ملامح الذكاء والخبرات التي امتازوا بإجادتها ، وامتازت اماؤهم بخفة الروح وحسن المظهر والرشاقة وهي صفات معروفة جيداً لدى تجار الرقيق ، الذين لم يبخلوا بدفع أسعار باهظة مقابل هؤلاء[cxxxix] . وفي رسالة بعثت من غدامس إلى كانو في ربيع عام ١٨٥٦ذكر فيها المرسل أسعار الرقيق في غدامس **" وإن سألتم عن سوم[أسعار]العبيد ٤٠٠[محبوب] والمليح٦٠٠، وسوم السلع ناقص عن عام الأول "**[cxl] . وفي رسالة مماثلة بعثت من غدامس إلى غات في عام ١٨٦٦ فيها ذكر للأسعار **"الصغيرة بعناها بتسعة وثمانين محبوب والكبيرة أخذها منا الحاج محمد جراب بمائة[محبوب]"**[cxli].

وكان جلابة القاهرة يصنفون الرقيق المجلوب اليها الى ثلاث فئات على وفق أعمارهم ؛ الفئة الاولى وتشمل الذين تتراوح أعمارهم بين العاشرة والخامسة عشرة ، ولا تتعدى أسعارهم ١٢ريالاً أسبانياً للذكر و١٥ريالاً أسبانيًا للأمة . وتتراوح أعمار الفئة الثانية ، وهي الفئة الأعلى سعراً بين الفئات الثلاث ، بين الثانية عشرة والخامسة عشرة ، وفيها يصل السعر إلى ١٦ريالاً للذكر و٢٥ريالاً للأمة .أما الفئة الثالثة وهم الذين تعدت أعمارهم الخامسة عشرة ، وتتراوح أسعارهم بين ٨و١٠ريالات [cxlii]. إن حظر الرق و تجارته في الدولة العثمانية والأقاليم التابعة لها كمصر وإيالة طرابلس وتونس ، رفع أسعار الرقيق بدرجة كبيرة فبلغ سعر الأمة في إيالة طرابلس بين ٤و ٥آلاف

قـرش عثمـاني أي مـا يعـادل ١٦٠-٢٠٠ريال ماريـا تريزا[(cxliii)].

ويراعــي قبـل إتمـام البيــع أو المقايضـــة اشــتراط المشتري بإيواء العبد أو الأمة لمدة ثلاثة أيام بلياليها قبل إتمـام الـصفقة بعد دفـع ربـع الـثمن المفتـرض، لمعرفة ما إذا كـان الرقيق غير مصاب بـالجنون أو الزهري أو سلس البول(تعود التبول في منامه) أو إن يصدر شخيراً أثناء النوم ، أو مـا إذا كانـت الأمـة عـذراء أو ثيبـاً أو أيـة عاهـة غيـر ظـاهرة أخـرى ، وربمـا يحجـم التـاجر عـن الشـراء إذا كـان الرقيـق مصاباً بإحدى هذه العوائق ، أو أن يقلل سعره. وإذا كانت الأمة عذراء واعتدى المشتري علـى عذريتها إثنـاء مكوثهـا عنـده قبـل إتمـام الـصفقة فإنــه ملـزم الاحتفـاظ بهـا حتـى إذا كانـت مصـابة بعاهـة غيـر ظاهرة [(cxliv)].

كـــادت التجـــارة الصـــحراوية أن تكـــون النشـــاط الاقتصــادي البشـري الوحيـد فـي طـول الصـحراء وعرضها ، وكما ذكرنا من قبل إنها المورد الأساس فــي إيالــة طـرابلس فــي سـنوات الجـدب إذ يكـون الاعتماد عليها كليا **"ومن لا يرغب التعامل بتجارة الرقيـق فإنــه يتعـرض للخســارة"** علـى حـد تعبيـر كـروازةKrause[(cxlv)] . وكـاد النظـام السياسـي فـي إيالـة طـرابلس أن يكـون هبـة هـذه التجـارة ، فـلا اقتصـاد ولا سياسـة ولا دفـاع بـدونها وهـي المـورد الرئيس في الإيالة ،لاسيما فـي سنوات الجدب . ولا أدل علـى ذلـك بأفضـل ممـا كتبـه مـارتنMartin القنصل الفرنسـي فـي طـرابلس فـي عـام ١٧٢٥فـي وصـف اقتصادها **" أن هذا الشعب بـائس إلـى الحد الذي لـولا تجـارة العبيد الـذين يـؤتى بهـم مـن فـزان وينقلـون إلـى المشرق علـى سفننا ، لاضطروا إلـى لتـرك هـذه الـبلاد فليست لـديهم أيـة تجـارة أخـرى ، ومنـــذ ثـــلاث ســـنوات لـــم يجنـــوا أيـــة محاصـــيل تقريباً"**[(cxlvi)] .

وأصـــبحت الحاجـــة أكثـــر مساســـاً لهـــذه التجـــارة وازدادت أهميتها بعد أن فرض البريطـانيون بقيـادة فـري مولـتFree Moult والفرنسيون بقيـادة جورين دي لاغرافييرJurien de La Gravier إرادتهما على يوسف باشـا القرمـانلي فـي ٨ تشـرين الأول (أكتـوبر)١٨١٨بإيقـاف القرصـنة واسـترقاق المسـيحيين فـي البحـر المتوسـط . وكانـت موافقتـه مشروطة بأن هذا الإملاء لا يشمل الرقيق القادم من الأقـاليم السـودانية ، الـذي كـان علـى وفـق اعتقـاده كفيلاً بتعويضه عن الخسائر التي تلحق به من جراء إيقاف القرصنة [(cxlvii)] . وإذا كان الأمر بهذا الشكل فــإن جــل مـــا يفـــرض علـــى المـــدن والمراكـــز الصحراوية من ضرائب وإتـاوات هو من فوائض هذه التجارة ، وليس فيها نخيل أو زراعـات ليتحمل أبناؤهـا دفــع ٦آلاف محبـوب سـنوياً ، وهـو مبلـغ ضــخم بمعـايير القـرن التاسـع عشـر ، كـان مثـار شكوى الغدامسيين الدائم من فداحـة مـا وقـع عليهم. في حين اشتهر طوارق غات الموازون لهم بثرائهم ونشاطهم التجـاري مـع الأقـاليم السـودانية ، لانهـم لا يدفعون ضريبة من فيض تجـارتهم لأحـد ، بـل علـى العكـس مـن ذلـك كـانوا يتقاضـون ريـالين عـن كـل رقيق يدخل غات من ضمنها حصـة كلوي وأخنوخن أحد أكبر زعماء الطوارق على الإطلاق [(cxlviii)].

وكـان البريطـانيون علـى اعتقـاد ان تجـارة الرقيـق بـالغـة الأهميــة للمؤسســات الاقتصــادية والسياسـية والاجتماعيـة فـي الدولـة العثمانيـة ، لـذا فـإن تصـفية هـذه التجـارة سـتؤدي حتمـاً إلــى تعثـر الاقتصــاد العثمـاني ، فـي وقـت كانـت فيـه بريطانيـا حريصـة علـى سـلامة هـذه الدولـة وبقائهـا قائمـة أمـام أطمـاع الـدول الأخـرى . ثـم أن الجهـاز الإداري العثمـاني غيـر مهيـأ لتصـفية هـذه التجـارة ، ففـي تقريـره إلـى وزارة الخارجيـــة البريطانيـــة فـــي تشـــرين الثـــاني (نـوفمبر)١٨٤٧، أكـد قنصـل بريطانيـا العـام فـي طـرابلس أن تجــارة الرقيــق فــي الإيالــة لا يمكــن

مكافحتهـا مـادام الـولاة والشخصـيات الرسـمية يشـتغلون بهـا ويحققـون مـن ورائهـا مكاسـب طائلـة [cxlix]. في ذلك يبدو أن البريطانيين كانوا على حق ، إذ تصـرف الـولاة والباشـوات الأتـراك فـي المـدن الصـحراوية النائيـة بأنهـا ضـياع خاصـة بهـم وهـي مصادرهم لجمع الأموال وحسب ، وكانوا يفرضـون علــى الســكان مــا يشــبع جشــعهم مــن الفــروض والإتاوات المالية دون رقيب أو وازع من أخلاق ، لاسيما في العهد العثماني الثاني ، وفيـه يقـارن أهل غـدامس بـين المبـالغ الضـخمة التـي كانـت تفـرض عليهم ، مع ما كان يفرضه عليهم يوسف القرمـانلي رغم جشعه واستهتاره ، وأخيراً وصـل أمـر الباشـا (والــي طــرابلس) إنــه بإمكانــه تخفــيض الإتــاوة المفروضــة علــى الســكان شــريطة أن يكــون الــدفع فوراً[cl] .

كـان حكـام الأقـاليم والمـدن فـي طـول الصـحراء وعرضها يتقاضون فضلا عن الهبات والهدايا غير المحددة ، فروض وضرائب يحددونها بأنفسهم علـى التجار ومن بينهم تجـار الرقيـق . وكـان حـاكم فـزان يتقاضــى دولاريـن عـن كـل رقيـق صـغيراً كـان أم كبيراً بمجرد أن تطـأ قدمـه أرض فـزان ، ويتقاضـى دولاراً ونصـفاً أخـرى عنـد إتمـام البيـع ، ويسـتوفي فضلاً عن ذلك محبوبـاً واحـداً ضـريبة تصـدير عن كل رأس يخـرج مـن فـزان علـى حـد شـهادة الرحالـة الألمـاني رالـف الـذي كـان موجـوداً فـي مـرزق فـي عام١٨٥٦[cli].وله ربع عائد الغزوات السنوية التـي يشنها رعاياه على أقاليم(بر العبيد)، ولـه وحـده حق في بيـع وشـراء الخيـول لاسيما تلك التـي تـدخل فـي مبادلـة الرقيـق . ولا يـدفع لباشـا طـرابلس أكثـر مـن الخــراج الســنوي الــذي لا يتعــدى 15ألــف دولار، المبلـغ الـذي كـان مثـار نـزاع دائـم بـين حكـام فـزان وباشوات طرابلس . الـذين ربمـا سـاءهم كثيـراً أن لا تــدخل أمــوال أخــرى مرتبطــة بالتجــارة بــالخراج السـنوي كـأن يمـوت أحـدهم دون أن يتـرك وارثـاً أو أن يحكم عليه بالموت ويصـادر مالـه لصـالح الحـاكم أو تلـك الغرامـات التـي تفـرض علـى النـاس عـن الجثث الميتة خنقاً الملقاة في الشوارع المسجلة ضد مجهـول ومـا أكثرهـا (الخنـق هـو اسـلوب الاغتيـال العثمـاني)، لـذا يلـزم الحـاكم العثمـاني أهـل المكـان الـذي ضـبطت فيـه الجثـة بـدفع مبلـغ ٢٠٠٠دولاراً غرامة[clii] .

وغالبـاً مـا يـتم تسوية الأمـر بـين الطـرفين بـأن يقـوم الحاكم بتقديم ترضية مالية ، ومثال ذلك عندما بعث محمد المكني حاكم فزان أبـابكر بوحُلـوم إلـى الباشـا فـي طـرابلس فـي عـام ١٨١٩ لتسـوية الخـلاف معـه عارضـاً عليـه أن يبقـى فـي منصـبه لـثلاث أخـرى مقابـل أن يـدفع لـه 80ألـف دولار، وهـو مبلـغ لا يوازيه شيء سوى فرح المكني بنجاح المهمـة [cliii] . لـيس هـذا فحسـب بـل كـان عليـه ان يـدفع13ألـف دولار أخرى عن ضريبة بيع ١٣٠٠عبد المستحقة عليـه فـي عـام ١٨١٨فقط [cliv] . ولمـا تـولى مكانـه مصطفى الأحمر على فزان ونواحيها لثلاث سنين أخــرى كــان ملزمــاً بــدفع90 ألــف ريال دورو[clvi][clv]. وكـان الشـيخ عبـد الجليـل سـيف النصـر علـى استعداد أن يـدفع مبلـغ ,25ألـف دولار في عام ١٨٤٣والإعتراف الضمني بسلطة الباشـا ، مقابل أن يعترف بـه الأخيـر حاكمـاً لفزان وأن يبقـى الحكم في عائلته [clvii] .

والسـؤال الـذي تجـدر الإجابـة عليـه ،كيـف يمكـن لهؤلاء تسـديد هـذه المبـالغ الضـخمة دون الانغمـاس فـي هـذه التجـارة المعـرة؟، هل يمكـن للمكنـي تسـديد هذه المبالغ دون شن الغزوات على (بر العبيد)؟ أو أن يقوم رجالـة بالمضـاربة فـي سـوق الرقيق ورفـع أسعارهم إلى المستوى الذي يرضـي التجار، فإذا بيع العبيد يحصلون عندها على الربع المقرر لسيدهم ، إذا لم يتم البيع فـإن التـاجر نفسـه يعد مشترياً وعليـه أن يـدفع الربـع المخصـص للحـاكم مـن حـر مالـه ،ويقـوم الكتبـة بتسـجيل أسـماء العبيـد وأسـم التـاجر

وتحديد أسعارهم وما يتحتم على التاجر دفعه[clviii].
وتصل ضريبة البيع التي يجب على التاجر دفعها إلى الثلث أو إلى النصف في بعض الاحيان وعندما يدفع ٩-١٠ دولارات عن كل رأس يباع ب٢٠ دولار ، فهو أمر مثير للاستغراب . أن كل ما يدفع بالرقيق زيادة عن أسعار شرائهم الأصلية يذهب إلى جيوب الحكومة العثمانية إلا النزر اليسير الذي يعد ربحاً للعملية التجارية[clix]. الأمر الذي دفع بحكومة الجزائر الفرنسية إلى استثمار التذمر الناجم عن هذه السياسة الضريبية إلى الإعلان إلى إعفاء التجارة السودانية المارة في واحات الجزائر الجنوبية من الفروض الضريبية في إطار حملتها الرامية إلى تحويل طرق التجارة الصحراوية إلى الجزائر، وذلك ما دفع حاكم فزان العثماني بإعلان إعفاء التجار من ضريبة المرور ، إذا ما واضبوا على سبر طريق فزان طرابلس[clx].

في أربعينات القرن التاسع عشر نظمت الدولة العثمانية الضرائب ومنها الضرائب المفروضة على التجارة الصحراوية. وفي مظلمة مقدمة من عدد من تجار الرقيق إلى والي طرابلس العثماني يشكون فيها فداحة الضرائب المفروضة عليهم ، إذ كان عليهم في السابق دفع ضريبة قدرها ٩%من قيمة العبد، ويدفع المشتري ٣% من قيمة الشراء إذا أراد الذهاب بعبيده إلى مديللي أو الأناضول أو الليبانتو ،على أن يزود التاجر بإيصال دفع ضريبة التصدير هذه، وإلا فإنه معرض لدفع الضريبة في تلك البلدان بمقدار ٨٠ قرش عن الرأس الواحد. ويعفى التاجر من ضريبة الشراء في طرابلس إذا كان قاصداً إسطنبول وأزمير ليدفعها هناك بواقع ١٩٠قرشاً إسطنبولياً في إسطنبول ، و١٠٨ قروش نعتية في أزمير ، حتى لا تحرم العاصمة أو أزمير من عوائد هذه التجارة البغيضة . إلا إن الحال تغير في عام ١٨٨٤٢ استناداً إلى هذه الوثيقة وصار على تاجر الرقيق دفع ٩محابيب عند الشراء و٣ عند التصدير، إلا إنه لا يعطى إيصالاً بدفع الضريبة مما يجعله عرضة لدفعها مرة أخرى في إسطنبول أو أزمير أو مديللي أو في دورازو وعموم بلاد الليبانتو [clxi] .

إن تعدد المراكز التي كان يتحتم على تاجر الرقيق دفع الرسوم والضرائب ، أدى إلى ارتفاع أسعار الرقيق بدرجة كبيرة . شأنهم في ذلك في كل المراكز الصحراوية ،فمثلاً يدفع تاجر الرقيق القادم إلى القاهرة مع قافلة سنار 4 أنصاف فضة [clxii] في أسنا و١٢ أخرى في جمرك المنيا و١٠ في بولاق . وتعد هذه التكاليف زهيدة إذا ما قورنت بما يدفعه تاجر الرقيق القادم إلى القاهرة على درب الأربعين ، وهي: اولاً ضريبة الخبير ومقدارها ٤٥نصف فضة على العبد و٩ أنصاف عند الخارجة باسم ضريبة الكاشف ٤٨٠ نصف فضة ضريبة جمرك عند أسيوط ،و١٢٠ للعبد الذكر و١٠٠ للأمة في مصر القديمة. ويبدو أن الحكومة المصرية أرادت الاستفادة إلى أقصى حد من الأعداد الكبيرة القادمة عن هذا الطريق بزيادة الضرائب إلى هذا الحد ، فضلاً عما يدفعه تجار الرقيق من رسوم للملتزمين في وكالات الجلابة مقابل تزويد العبد المباع وثائق إثبات شخصية [clxiii] . وربما كان التجار يتحملون الفروض نفسها إذا قدموا برقيقهم من فزا ن من اتجاه الغرب عن طريق باب زويلة [clxiv].

إلا أن الأنكى من كل ذلك أن الحكومات تعاملت مع الرقيق بأنهم بضائع وحسب ، يمكن أن يحلُو مكان النقود في الإيفاء بالديون أو الإتاوات . ففي الاتفاق الذي أبرمه مرابطو فزان مع الحكومة العثمانية في عام ١٦٢٦ بأن يدفعوا إتاوة لها بمقدار ٤آلاف مثقال(٢٠ألف غرام) من الذهب على أن يدفع نصفه رقيقاً[clxv] .ولم ينته اتخاذ الرقيق وحدة قياس لما يفرض على الأقاليم بحلول القرن التاسع عشر ، ففي عام ١٨١٥أباح يوسف القرمانلي لابنه أحمد باستحصال الإتاوة المفروضة على أهل نالوت بعد

أن تمكن الأخير من قمع انتفاضتهم ، عبيداً بعد أن عجز هؤلاء عن دفعها نقوداً أو أمتعة [clxvi] . وفي حالة مماثلة طلب قائمقام فزان من والي طرابلس الإذن باستيفاء ما فرض على الأهالي من ضرائب رقيقاً وحنطة وشعيراً بعد تقريب أسعارها إلى العملة المحلية ، وأضاف القائمقام في طلبه ما إذا كان بالإمكان استبقاء القمح والشعير لتموين العساكر وإرسال الرقيق إلى طرابلس ، وذكر انه بالفعل أرسل إلى الأقضية لموافاته بما لديهم من رقيق[clxvii] . وعلى أية حال لم يعرف عن مرزق بأن بها فيض من القمح أو الشعير يمكن أن يسدد بهما فروض الدولة وإنما المقصود هنا الرقيق السلعة الأكثر رواجاً في الصحراء .

الخاتمــة

يتضح مما تقدم إن الرقيق هم البند الأهم بين السلع في تجارة القوافل الصحراوية التي كان ينقل فيها أعداد كبيرة من هؤلاء من أقاليم جنوب الصحراء إلى مدن الشمال عبر رحلات طويلة ومضنية على شبكة من الطرق الصحراوية التي ، ارتبطت بهذه التجارة ارتباطاً جدلياً منذ أقدم العصور، وكما إنه لم يكن هناك أحد فوق مستوى الاسترقاق على مساحة الصحراء الكبرى وجنوبها ، لم يترفع عن ممارستها أو الاستفادة من عوائدها أحد في الأقاليم التي كانت تبلغها ، إذ شاركت فيها كل الأعراق البشرية التي سكنت أو ارتبطت مصالحها الاقتصادية بالمنطقة دون استثناء ، إلا إنه من غير المنطقي أن تتحمل جماعة بشرية بعينها معرتها أو تبعاتها الأخلاقية . واستمرت إلى القرن التاسع عشر وهو القرن الأخير الذي شهدت فيه هذه التجارة ازدهاراً غير مسبوق فكانت بمثابة الصحوة الأخيرة قبل الاحتضار والموت في مطلع القرن اللاحق. ومن المهم أن نذكر إن متابعة بريطانيا للقائمين عليها لم تكن لأغراض إنسانية بحتة بل كان ذلك لضرورات تطور المجتمع البريطاني نفسه الذي لم يعد بحاجة لفوائد هذه التجارة ، ورأى ساسة ذلك المجتمع ان بقاء الإنسان الأفريقي في أرضه أكثر فائدة للإمبريالية البريطانية من نقله إلى أماكن أخرى ، في حين كان إلغائها ضربة عنيفة لكل المؤسسات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية في المنطقة دون استثناء ، لاسيما للمؤسسات العثمانية المماثلة ، بنفس الدرجة من الشدة لتلك التي تعرضت لها المؤسسات الأمريكية التي كانت تعتمد اعتماداً كلياً على العمل الذي يقدمه الرقيق قبل حظر جلبهم .

الهوامــــــــــش

clxviii

([i]) القصص ، ٥ .

([ii]) البلد ،١١، ١٢، ١٣ .

([iii]) النساء ،٩٢.

([iv])الاحزاب،٣٧،٣٨

([v])البقرة ، ١٧٧ .

([vi]) Kemal H. Karpat, *The Ottoman Empire and Its Place in World History*,(Leidin,1974), p.25.

([vii]) كانت الأغلبية الساحقة من أمهات الخلفاء والسلاطين وكبار قادة الجيوش الإسلامية من الإماء البيضاوات والسوداوات على مر العصور .

([viii]) عن تجارة الرقيق الغابرة ينظر: B.G.Martin,Kanem , *Bornnu and the Fazzan, Note on the Political History of Trade Route* , The Journal of African History ,Vol. X,No.1,2,3,&4,(Cambridge,1969 p.15-27 ; T. Waltz, *Trade*

Between Egypt and BiladAs-Sudan1700-1820,(Cairo,1978),p.4-10

(ix) جيمس ريتشاردسون ، ترحال في الصحراء ، ترجمة الهادي ابو لقمة ،(جامعة قار يونس، بنغازي، ١٩٩٣)ص.٢٥٢؛
A.Adu Boahen, *Britain, the Sahara and Western Sudan 1788-1861*,(Oxford,1964)p.127

(x) عمر علي بن اسماعيل ،انهيار حكم الاسرة القرمانلية في ليبيا ١٧٩٥-١٨٣٥(طرابلس،١٩٦٧) ص١٨٦-١٨٧ ؛

(xi) Marion Johnson, *Calico Caravans ,The Tripoli-Kano Trade After 1880,*TheJournal of African History,
(Camberdig,1976),Vol.XVII,No.I,p.98.

(xii) Me'moire pour Monsieur Delagny,*Directeur du Commerce* a'Tripoly,8Novembre1686, . France,AEB[1]1088

(xiii) محمد بن عثمان الحشائشى التونسى، رحلة الحشائشى الى طرابلس وبلاد الطوارق (تونس،١٩٨٨)ص٢١٧ ؛ A.G.Hopkins , *An Economic History of West Africa* , (London ,1973), p.81-82,131; N. Levtzion ,*Ancient Ghana and Mali*,(London,1980),174.

(xiv) نقلا عن جيمس ريتشاردسون ، المصدر السابق ،ص ٤٠٣،٣٣١.

(xv) غاغليوفى اليهودي الأصل والمولود في مدينة فيوم الايطالية عين في مرزق كنائب عن المقيم لبريطاني العام في طرابلس ، ابتداءً من آذار (مارس) ١٨٤٣ولمدة اثنى عشر عاماً، وغادرها بسبب تقدمه في السن، وهو متهم بمزاولة تجارة الرقيق .

(xvi) A.Adu Boahen, *op.,cit.*, p. 170.

(xvii) جيمس ريتشاردسون ، المصدر السابق ،ص٣٣٣؛ Ibid., p.127.

(xviii) R.A.Adeleye, *Power and Diplomacy in North Nigeria*,(London, 1971)p.170.

(xix) عزيز بطران ، الثورات الإسلامية في أفريقيا الغربية في القرن التاسع عشر، ج .ف .آجي آداي(المشرف) ، تاريخ أفريقيا العام في القرن التاسع عشر حتى ثمانينياته ، المجلد السادس ، عن منظمة اليونسكو، (بيروت،١٩٩٧)ص٦١٩ .

(xx) جيمس ريتشارد سون ، المصدر السابق ، ص ٣٢٤،٣٢٨،٣٤٢

(xxi) جون لويس يوركهاردت، رحلات يوركهاردت في بلاد السودان والنوبة ، ترجمة فؤاد أندراوس ،(القاهرة،١٩٤٥)، ص٢٥٢ ؛ ينظر كذلك: Marion Johnson ,*op., cit.*, p. 98.

(xxii) نقلا عن جيمس ريتشاردسون ، المصدر السابق ، ص١٩٣.

(xxiii)محمد بن عثمان الحشائشي ، المصدر السابق ،ص٢١٧؛

N.Levtion op.cit.,p., p.174.

(xxiv)

Me'moire pour Monsieur, *Delagny ,Tripoly*,8Novembre 1686, AE B1 1088.

(xxv) س.باير ،الصحراء الكبرى في القرن التاسع عشر ،ج.ف.ادي جاي، المرجع السابق ،ص٦٠٠-٦٠٤.

(xxvi) Aberdeen to Barell Dec.23,184,.F.O.141/10Account of Slaving Expedition made by the Egyptians Troops under Ahmed Pasha in 1843; ينظر كذلك : زاهر رياض ،مصر وأفريقيا،(القاهرة ،١٩٦٧)،ص١٣٦ .

(xxvii)دبليو.بوفيل ،تجارة الذهب وسكان المغرب الكبير ،ترجمة الهادي ابو لقمة ومحمد عزيز ،(بنغازي،١٩٨٨)،ص٤٠١.

(xxviii)جون لايون، من طرابلس إلى فزان في سنوات ١٨١٨-١٨٢٠، ترجمة مصطفى جودة ،(تونس،١٩٦٧)ص١٩٠-١٩٤ .

(xxix)المصدر نفسه ، ص.١٩٨.

(xxx) وهي غزوات صيد الرقيق ومفردها رزاية .

(xxxi) المصدر نفسه، ص ٩٨-٩٩؛ أحمد النائب الأنصاري ، المنهل العذب في تاريخ طرابلس الغرب ، (طرابلس، د.ت.)ص٣٢٤ .

(xxxii) جون لايون ،ص٩٨-٩٩؛ كولا فولايان، ليبيا أثناء حكم يوسف باشا القرمانلي، ترجمة عبد القادر المحيشي (طرابلس،١٩٨٨)، ص١٢١.

(xxxiii)ملف محمد بن عمر بن يحيى ،يناير ١٩٢٨،الوثائق العربية ، مركز جهاد الليبيين ، طرابلس.

(xxxiv) ف.ب.لوتسكي ، تاريخ الأقطار العربية الحديث ، ترجمة عفيفة البستاني ،(موسكو،١٩٧١)،ص١١٦.

(xxxv) جارلس مري ،صفحة من تاريخ محمد على ،ترجمة طه السباعي ،(القاهرة،١٣٢٧)ص٢٩.

(xxxvi) ص ١٥٣، دفتر ١٠، معية تركي ، ترجمة الكاتبة ، رقم ١٧ ، ١٨محرم ، ١٢٣٧؛ ينظر كذلك عبد الرحمن الرافعي ، مصر والسودان في أوائل عهد الاحتلال ، (القاهرة ،١٩٦٦)، ص١٠٨.

(xxxvii)أحمد النائب الأنصاري ، المصدر السابق ، ص ٣٤٤.

(xxxviii) المحبوب عملة كانت سائدة في إيالة طرابلس وفزان بقيمة ٢٠-٢٥ غرشاً عثمانياً ويساوي ٣,٢٠ ماركاً المانيا .

(xxxix) وثيقة رقم ١٩٦٨، ملف علي عشقر ،دار المحفوظات التاريخية، طرابلس .

(xl) رسالة الوالي محمد أمين باشا إلى قائمقام فزان ،٢٨شوال ١٢٥٨ هجرية (١٨٤٣) وثيقة رقم٢٣١٢،ملف عبد الجليل سيف النصر ، دار المحفوظات التاريخية ،طرابلس .

(xli) جيمس ريتشاردسون ، المصدر السابق، ص٣٧٨.

(xlii) أتوري روسي، ليبيا منذ الفتح الاسلامي حتى ١٩١١،ترجمةخليفة التليسى ،(طرابلس،١٩٩١)، ص٤٤٠-٤٤١.

(xliii) العقيد جورج وارنغتون المعين قنصلا عاماً للحكومة البريطانية في طرابلس في عام ١٨١٤المعادي جداً لتجارة الرقيق وللمصالح الفرنسية ، بقي يمسك بخيوط السياسة في هذا الطرف من الدولة العثمانية لمدة تربو على الثلاثين عاماً ، فضلا عن كونه ممثلاً لمصالح بعض الدول الاخرى.

[xliv] ن.أ.بروشين ، تاريخ ليبيا في العصر الحديث من منتصف القرن السادس عشر إلى مطلع القرن العشرين، ترجمة عماد غانم ،(طرابلس ، ١٩٩١)، ص٣٠٥-٣٠٦.

[xlv] حمامة خلفان غيث، التأثيرات العمانية في زنجبار ،رسالة ماجستير مقدمة الى معهد الدراسات الأفريقية، كلية الآداب ، جامعة القاهرة ، ١٩٨٨، ص ١٠٧ ، (غير منشورة).

[xlvi] دبليو. بوفيل ، المرجع السابق ،ص٣٩٩.

[xlvii] عزيز البطران ، المرجع السابق ،ص٦١٩؛ شعبان سنقو، وجهات نظر التبشير المسيحي ،(بغداد،١٩٨٥)،ص٧.

[xlviii] هو محمد بن على السنوسي المستغانمي الجزائري الحسني مؤسس الحركة السنوسية في برقة ، توفي في الجغبوب وفيها دفن .

[xlix] محمد بن عثمان الحشائشي التونسى ، جلاء الكرب عن طرابلس الغرب ،تحقيق علي مصطفى المصراتي ،(بيروت ،١٩٦٥)،١٨٥ .

[l] الهكتار يعادل ١٠آلاف متر مربع .

[li] Evans- Brichard, *The Sanusi of Cyrenaica*,(Oxford,1949),p.77-79,82,97.

[lii] جون لايون ، المصدر السابق ، ص٢٠٩ .

[liii] Sudan Intelligence Report(Cairint) 2\15\125, *Cairo, Senussism History* ,p.5 ; Cairint2/15/128, January14 1906.

[liv] مذكرات أنور باشا في طرابلس الغرب ، ترجمة عبد المولى صالح الحرير (طرابلس١٩٧٩)ص٩٩.

[lv] هو ثائر من أصل سوداني أسس إمبراطورية واسعة في كانم وبرنو(تشاد) في بضع سنين وقضى الفرنسيون على إمبراطوريته وقتلوه في ١٩٠٠.

[lvi] No.33Apendix,Cairint.; Mr.JagoNo.2Africa,10April1889,F.O.1 Sudan Intelligence Egypt,( ) 01/84. Hereafter

[lvii] جون لايون ، المصدر السابق ،ص ٢١٠.

[lviii] حسن الفقيه حسن ، اليوميات الليبية ، ط٢ ،ج١ ،(طرابلس ،٢٠٠١) ، اليومية رقم ٣٦٥،ص٢٨٠ .

[lix] عماد الدين غانم (مترجم ومحرر)،رحلة عبر أفريقيا ، مشاهدات الرحالة الألماني رالف، في طرابلس وبرنو وخليج غينيا،(طرابلس ،١٩٩٦)، ص٢٨٧ .

[lx] Consular Report (Tripoli),1897,F.O. Annual Series ,Diplomatic and Consular, 2125 ,p.16

.

[lxi] رسالة شخصية من غدامس إلى غات في ٢٤ربيع الثاني ١٣١١ هـ(١٨٩٣م) ، الوثيقة رقم ٨٠،مجموعة بشيرقاسم يوشع ،"وثائق غدامس التجارية التاريخية الاجتماعية ،الجزء الثاني ،(طرابلس ،١٩٩٥) ، ص٢٠٩ .

[lxii] حمامة خلفان الغيث ،المرجع السابق ،ص١٠٧ .

[lxiii] D' Andre ,Memoire Joint a la Lettre u 10 Aout 1782 ,AE B[1] 1108,T20.

[lxiv] Memorandum by The Governor General, Cairo, F.O.

,London,(Annual Report -Governor General) 1906 .

(lxv) (Annual Repot-Governor General), 1908, p.137.

(lxvi)

T. Waltz, *op. cit.*, p.37-40.

(lxvii) ب.س. جيرار، الحياة الاقتصادية في مصر في القرن الثامن عشر ،الجزء الأول، الزراعة والصناعات والحرف والتجارة ، وصف مصر ، الترجمة الكاملة ، ترجمة زهير الشايب ،(القاهرة ،١٩٧٨)، ص١٦٣-١٧٣ .

(lxviii) س. باير ، المرجع السابق ، ص٦٠٠.

(lxix) T. Waltz, *op .cit.*, p. 37-39.

(lxx) ن.أ.بروشين ، المرجع السابق ، ص.٣٠٥ ؛انظر كذلك : فرانشيسكو روفيري ،عرض للوقائع التاريخية البرقاوية١٥٥١- ١٩١١ ، ترجمة ابراهيم احمد المهدوي ،(بنغازي،٢٠٠٣)،ص٢٢٣٧.

(lxxi) عبد الرحمن تشايتشجي ، الصراع التركي الفرنسي في الصحراء الكبرى ، ترجمة على عزازي (طرابلس،١٩٨٢)، ص٥٦ .

(lxxii) فرانشسكو غورو ، ليبيا في العهد العثماني ، ترجمة خليفة التليسي،(طرابلس،١٩٧١)ص.١٢٥؛ A. Adu Boahen, *op .cit.*, 132-159 ; CharlisW. Farlong , *The Gate Way to Sahara*,(New York,1914),p.203).

(lxxiii) نقلاً عن ن.أ.بروشين ، المرجع السابق ،ص٣١٦.

(lxxiv) الصحراء الكبرى ،مكتبة الفرجاني (طرابلس،١٩٧٦)،١٥٦؛جون لايون، المصدر السابق،ص١٤٧.

(lxxv) دبليو. بوفيل ، المرجع السابق ،ص. ٣٩٨.

(lxxvi) ن.أ. بروشين ،المرجع السابق ،٣٠٤-٣٠٥. ؛

A.Adu Boahen, *op.cit.*,p151 .

(lxxvii) ن.أ. بروشين، المرجع نفسه ،ص٣١٦.

(lxxviii) عبد الرحمن تشايتشي ، المرجع السابق ص٥٦- A.Adu Boahen ,*op. cit.*,p. 103 - 131 ; C. W. Newbary ,*North African in TradeNineteenth Century,* No. 1, 2, 3, The Journal of African History,(Cambridge,1969),p.235-236.

(lxxix) A. Adu Bohen ,*op.cit.*, p. 111 .

(lxxx) G.B. Martin ,*op. cit.*, p.18 ;E.R. Toledano, *The Ottoman Slave Trade and is Suppression 1840-1890*, (Princeton, 1982) p. p. 49.

(lxxxi) استحقت مرزق هذا اللقب ، ربما لما فيها بعض من نساء(......) اللواتي كن أكثر حرية وانفتاحاً وقدرة على تقديم المتعة واقل التزاماً.

ينظر: فرانشيسكو غورو ، المرجع السابق ،ص.١٢١.

(lxxxii) Me'moire pour Monsieur Delagny ,Tripoly,8Novembre1686,AE B1 1088;De Lancy,Rapport, Tripoly No.8,20Mars1766,AE B1 1100.

(lxxxiii) جون لايون ، المصدر السابق ،ص٩٠، ١٩٧.

(lxxxiv) جيمس ريتشاردسون ، المصدر السابق ، ص٦٨.

(lxxxv) المصدر نفسه ،ص١٩٠.

(lxxxvi) المصدر نفسه،ص٣٣٨، ٤٣٧ .

(lxxxvii) المصدر نفسه، ص ٣٢٠، ٣٥٥، ٤٤٢.

(lxxxviii) المصدر نفسه، ص٤٥٣، ٥٤١.

(lxxxix) ن.ا. بروشين ، المرجع السابق ،ص٣٠٩-٣١٠.

(xc) جيمس ريتشاردسون ، المصدر السابق ، ص٢١١، ٣٠٢.

(xci) المصدر نفسه، ص٣٨٣.

(xcii) نقلاً عن س باير، المرجع السابق ،ص٦٠١.

(xciii) جون لايون ، المصدر السابق ،ص

(xciv) ن.أ. بروشين ،المرجع السابق ،ص٢٢٤

(xcv) نقلاً عن كولافولايان ، المرجع السابق ،١١٩.

(xcvi) E.R. Toledano ,*op. cit*.,p.82 -83 .

(xcvii) Quoted in Marion Johnson, *op .cit.*, p.108.

(xcviii) E.R. Toledano ,*op .cit*., p. 84-90 .

(xcix) وثيقة رقم ٢١، في احمد سعيد فيتوري ، ليبيا وتجارة القوافل (طرابلس،١٩٧٢)،ص٥٥.

(c) جيمس ريتشاردسون ، المصدر السابق ،ص٤٩٩.

(ci) Charlis W. Furlong, *op .cit.*, p. 203 .

(cii) Quoted in Marion Johnson ,*op.cit.*,p. 108 .

(ciii) عمر علي بن إسماعيل ، المرجع السابق ،ص ١٧٨.

(civ) From sir P. Francis, Judge &Consul General to Lord Clarendon,Cairo,Dec.1,1869,F.O.84/1305,Foreign Files at the Public Record Office(London)Slave Trade 84/130 ينظر كذلك جون لويس بوكهارت ،المرجع السابق ،ص٢٥٢ .

(cv) T. Waltz ,*op. cit*., p. 66. ؛ المرجع نفسه ،ص٢٥٣

(cvi) إستيف ، النظام المالي والإداري في مصر العثمانية ، وصف مصر الترجمة الكاملة، ترجمة زهير الشايب ، ،ج٥، (القاهرة ،١٩٧٨) ، ص٢٠٢

؛ *Ibid., p.*131, 171 .

(cvii) انظر الصفحة ٧ من هذا البحث .

(cviii) كوستانزيو برنيا ، مدينة طرابلس ١٥١٠- ١٨٥٠ ، ترجمة خليفة التليسي ،(مصراتة،١٩٨٥)، ص١٩٨؛
E.R.Toledano, *op.cit.*,p.49.

(cix) Fraser ,*Some Account of Trade Carried on by Tripoli Moors to the Inland Part ofAfrica* , Portsmouth, 24Augest , 1767,F.O. 76/2 ,F.166-176.

(cx) خليفة محمد التليسي ،حكاية مدينة :طرابلس لدى الرحالة العرب والأجانب ،(طرابلس _تونس ،١٩٨٥)، ص١٧١ .

(cxi) ريتشارد توللي ، عشر سنوات في بلاط طرابلس ،ترجمة عمر الديراوي أبوحجلة ،(طرابلس ،د.ت.)، ص١٠٣-١٠٤ .

(cxii) De Lancey ,Tripoly ,No.8,20 Mars . 1766 ,AE B^1 1100

(cxiii) Vallie're ,Tripoly ,9Fe'vrier 1756, AE B^1 1098.

(cxiv) مصطفى عبد الله بعيو ،دراسات في التاريخ اللوبى ،(الإسكندرية ،١٩٥٣)، ص١٧٦ .

(cxv) جيمس ريتشاردسون ، المصدر السابق ،ص٥١٨ وما بعدها .

(cxvi) جون لايون ، المصدر السابق ،ص١٩٨

(cxvii) عمر علي بن إسماعيل ، المرجع السابق ،ص١٨٥ ؛ أحمد سعيد فيتوري ، المرجع السابق ،ص١٢ .

(cxviii) كولا فولايان ، المرجع السابق ، ص١١٩-١٢٠.

(cxix) ن. أ. بروشين ،المرجع السابق ،ص٣٠٥.

(cxx) DeLancy Commercede Tripoly, . No.8,20 Mars1766,AE B^1 1100

(cxxi) Fraser,someAcount of the Trade Carried on pay Tripoline Moors to the Inland Parts of Africa, Portsmouth, 24Augest1767,F.O. 76\2,F.166-176.

(cxxii) Martin ,E'tats des Batiments Francais,Tripoly,dep. 24 Juin 1724,AE B^1 1092 .

(cxxiii) جان كلود زليتنر ،المرجع السابق ،ص٣٥٢-٣٥٣.

(cxxiv) جيمس ريتشاردسون ، المصدر السابق ،ص١٦١.

(cxxv) D'Andre,Tripoly,4Octobre1784,Etat des Batiments Francais et Corsaires,Juillet aout,Sept., AE B^1 1110 ; D'Anre,Trip.1785, Etat des Batiments Francais,AE B^1 1111.

[cxxvi] جيمس ريتشاردسون ، المصدر السابق ،ص ١٩٢، ٣٣٩ .

[cxxvii] Lomair Rapport ,Tripoly,8Mars1705,AE B1 1089 .

[cxxviii] جون لايون ،المصدر السابق ،ص ٩١، ١١٩؛ مصطفى بعيو ، المرجع السابق ،ص١٨٦.

[cxxix] جون لايون ، المصدر نفسه ،ص١١٩ ؛مصطفى بعيو ،المرجع نفسه،ص١٨٦.

[cxxx] جون لايون، المصدر نفسه،ص١٢٣.

[cxxxi] عمر علي بن اسماعيل ، المرجع السابق ، ص١٨٦-١٨٧.

[cxxxii] جيمس ريتشاردسون ،المصدر السابق ،ص١٥٨.

[cxxxiii] المصدر نفسه ،ص٤١٠،٣٦٠.

[cxxxiv] Consular Report ,Tripoli,1897,F.O.Annual Series, Diplomatic and Consular 2125,p.16 .

[cxxxv] جون لايون ' المصدر السابق ، ص٧١.

[cxxxvi] Consular Report ,Tripoli,1897,F.O.,Annual Series, Diplomatic and Counsular2123,p.16.

[cxxxvii] دبليو بوفيل ، المرجع السابق ،ص٤٠٠.

[cxxxviii] المصدر نفسه ،ص ١٣٥، ١٧٦ .

[cxxxix] دبليو بوفيل ، المرجع السابق ،ص٣٩٨.

[cxl] رسالة بعثت في ربيع الاول ١٢٧٣،هجرية ١٨٥٦م ،الوثيقة رقم ١٠ في مجموعة بشير قاسم يوشع، الجزء الثاني، المصدر السابق ، ص٥٦.

[cxli] رسالة من غدامس الى غات في ٢٢رجب ١٢٩٤هجرية ١٨٧٧، الوثيقة رقم ٢٤في المصدر نفسه،ص٨٢.

[cxlii] جون لويس بوركهاردت ، المرجع السابق ص٢٥٢.

[cxliii] E.R. Toledano ,*op .cit*., p. 69.

[cxliv] عمر على بن اسماعيل ، المرجع السابق ،ص١٩٦ .

[cxlv] نقلاً عن نجمي رجب ضياف ، مدينة غات وتجارة القوافل الصحراوية في القرن التاسع عشر ،(طرابلس،١٩٩٩) ص٢١٥.

[cxlvi] De Martin Ropport, Tripoly,30Mars1725, AE B1 1092.

[cxlvii] كوستا نزيوبرنيا، المرجع السابق ، ص٢٥٩.

[cxlviii] جون لايون المصدر السابق ،ص٨٦؛نجمي رجب ضياف ،المرجع السابق ،ص١٨٥.

[cxlix] ن.أ.بروشين ،المرجع السابق ،ص٣٠٤ .

[cl] جيمس ريتشاردسون ، المصدر السابق ،ص١٥٤.

[cli] اتوري روسي ، المرجع السابق ،ص٤٥٠.

[clii] جون لايون، المصدر السابق ،١٤٧-١٤٨، ٢١٣؛اتوري روسي، المرجع السابق،ص٤٥٠؛ مصطفى عبد الله بعيو، المرجع السابق، ص١٨٤.

[cliii] جون لايون ، المصدر نفسه ،ص١٩٨-١٩٩.

[cliv] كولافولايان ، المرجع السابق ،ص١٢١.

[clv] ريال دورو عملة اسبانية تعادل ٢٢-٢٥ قرشاً عثمانياً باختلاف الازمنة .

[clvi] حسن الفقيه حسن، المصدر السابق، اليومية رقم ٣٦٦، ص ٢٨١.

[clvii]جيمس ريتشاردسون ، المصدر السابق ،ص٥١٧.

[clviii] جون لايون ، المصدر السابق ، ص٢٥٢.

[clix] جيمس ريتشاردسون، المصدر السابق ، ص٢١١، ٢٥٣، ٣٢٤ ، ٤٧٩.

[clx] Basbaknlik Arsive Irade Emri, Meclisi Vala,No.21576,4 Kasim1862,M.4.

[clxi] مظلمة مقدمة من عدد من تجار الرقيق إلى والي طرابلس محمد امين باشا في ٢٩ذي الحجة ١٢٥٨، ١٨٤٢م، وثيقة رقم ٢٧ من مجموعة عمر علي بن اسماعيل ، المرجع السابق ،ص٤٣٨-٤٣٩.

[clxii] كل ١٥٠ نصف فضة كان يعادل ريالاً اسبانياً واحداً .

[clxiii] ب.س. جيرارد، المرجع السابق ،ص٢٦٢-٢٧٣؛ T.Waltz, *op.cit.*,p.55-56.

[clxiv] أحمد سعيد فيتوري ، المرجع السابق ، ص١١.

[clxv] شارل فيرو ، الحوليات الليبية منذ الفتح الإسلامي، ترجمة محمد عبد الكريم الوافي ، ط٢(طرابلس،١٩٨٣)،ص١٥٢.

[clxvi] احمد النائب الأنصاري ، المصدر السابق، ص ٣٤٤؛ ن.ا.بروشين ، المرجع السابق،ص١٦٧.

[clxvii] رسالة قائمقام فزان حسن عزيز الى والي طرابلس محمد امين باشا في ٤رجب ١٢٦٠(١٨٤٤)،وثيقة رقم ١٨٢،ملف رقم ٧،ملفات الضرائب (السرايا الحمراء، طرابلس).

المصادر والمراجع

أولاً- الوثائق العربية

١. رسالة قائمقام فزان حسن عزيز الى والي طرابلس محمد امين باشا في ٤رجب ١٢٦٠(١٨٤٤)،وثيقة رقم ١٨٢،ملف رقم ٧،ملفات الضرائب (السرايا الحمراء، طرابلس).
٢. مجموعة أحمد سعيد فيتوري ، ليبيا وتجارة القوافل (طرابلس،١٩٧٢)، الوثيقة رقم ٢١،ص٥٥.
٣. مجموعة بشير قاسم يوشع ،"وثائق غدامس التجارية التاريخية الاجتماعية ،الجزء الثاني ،(طرابلس،١٩٩٥)، الوثائق رقم ١٠، رسالة بعثت في ربيع الاول ١٢٧٣،هجرية ١٨٥٦م ص٥٦؛ الوثيقة رقم ٢٤، رسالة من غدامس الى غات في ٢٢رجب ١٢٩٤هجرية ١٨٧٧،ص٨٢؛رقم ٨٠ ، رسالة شخصية من غدامس إلى غات في ٢٤ربيع الثاني ١٣١١ هـ(١٨٩٣م) ص٢٠٩ ،
٤. مجموعة عمر بن علي إسماعيل، انهيار حكم الاسرة القرمانلية في ليبيا ١٧٩٥-١٨٣٥(طرابلس،١٩٦٧)،الوثيقة رقم ٢٧ ، مظلمة مقدمة من عدد من تجار الرقيق إلى والي طرابلس محمد أمين باشا في ٢٩ذي الحجة ١٢٥٨، ١٨٤٢م، ص ٤٣٨ـ٤٣٩.
٥. ملف عبد الجليل سيف النصر ، رسالة الوالي محمد أمين باشا إلى قائمقام فزان ،٢٨شوال ١٢٥٨ هجرية (١٨٤٣) وثيقة رقم٢٣١٢،ملف ، دار المحفوظات التاريخية ،طرابلس.
٦. ملف علي عشقر ، وثيقة رقم ١٩٦٨، ،دار المحفوظات التاريخية، طرابلس .

٧. ملف محمد بن عمر بن يحيى ،يناير ١٩٢٨،الوثائق العربية ، مركز جهاد الليبيين ، طرابلس.

٨. دفتر ١٠، معية تركي ، ترجمة الكاتبة ، رقم ١٧ ، ١٨محرم ، ١٢٣٧،ص١٥٣.

ثانياً - الوثائق الأجنبية

1. Aberdeen to Barell Dec.23,184,.F.O.141/10Account of Slaving Expedition made by the Egyptians Troops under Ahmed Pasha in 1843.

2. Basbaknlik Arsive Irade Emri, Meclisi Vala,No.21576,4 Kasim1862,M.4.

3. Consular Report ,Tripoli,1897,F.O.Annual Series, Diplomatic and Consular 2125,p.16 .

4. De Martin Ropport, Tripoly,30Mars1725, AE B1 1092.

5. D'Andre,Tripoly,4Octobre1784,Etat des Batiments Francais et Corsaires,Juillet aout,Sept., AE B1 1110 .

6. D'Adnre,Trip.1785, Etat des Batiments Francais,AE B1 1111 .

7.DeLancy Commercede Tripoly, No.8,20 Mars1766,AE B1 1100 .

8. D' Andre ,Memoire Joint a la Lettre u 10 Aout 1782 ,AE B1 1108,T20.

9.Fraser ,*Some Account of Trade Carried on by Tripoli Moors to the Inland Part of Africa* , Portsmouth,24Augest ,111767,F.O. 76/2 ,F.166-176.

10. From sir P. Francis, Judge &Consul General to Lord Clarendon,Cairo,Dec.1,1869,F.O.84/1305,Foreign Files at the Public Record Office(London)Slave Trade 84/130.

11. Lomair Rapport ,Tripoly,8Mars1705,AE B1 1089 .

12. Martin ,E'tats des Batiments Francais,Tripoly,dep. 24 Juin 1724,AE B1 1092. 12. Me'moire pour Monsieur Delagny ,Tripoly,8Novembre1686,AE B1 1088.

13. Me'moire pour Monsieur Delagny,*Directeur du Commerc a'Tripoly*,8Novembre1686, France,AEB1 1088

14.Memorandum by The Governor General, Cairo, F.O. ,London,(Annual Report –Governor General) 1906,1908 .

15.Mr.JagoNo.2Africa,10April1889,F.O.101/84 .

16.Sudan Intelligence Egypt,(Hereafter) No.33Apendix,Cairint.

17. Sudan Intelligence Report(Cairint) 2\15\125, *Cairo, Senussism History.*

18. Vallie're ,Tripoly ,9Fe'vrier 1756, AE B[1] 1098.

ثالثا ـ المصادر والمراجع العربية والمعربة .

١. القرآن الكريم .

٢. إسماعيل، عمر علي ،انهيار حكم الأسرة القرمانلية في ليبيا ١٧٩٥-١٨٣٥(طرابلس،١٩٦٧) .

٣.الأنصاري، أحمد النائب ، المنهل العذب في تاريخ طرابلس الغرب ، (طرابلس، د.ت.).

٤. أنور باشا ، مذكرات أنور باشا في طرابلس الغرب ، ترجمة عبد المولى صالح الحرير (طرابلسن١٩٧٩).

٥. إستيف ، ج . النظام المالي والإداري في مصر العثمانية ، وصف مصر ،الترجمة الكاملة ، ترجمة زهير الشايب ، ج٥، (القاهرة ،١٩٧٨).

٦. باير ، س، الصحراء الكبرى في القرن التاسع عشر ،ج.ف. ادي جاي(المشرف)، تاريخ افريقيا العام في القرن التاسع عشر حتى ثمانينياته ،المجلد السادس(عن منظمة اليونسكو)(بيروت،١٩٩٧) .

٧. برنيا ، كوستانزيو ، مدينة طرابلس ١٥١٠-١٨٥٠ ، ترجمة خليفة التليسي ،(مصراتة،١٩٨٥).

٨. بروشين، ن.، تاريخ ليبيا في العصر الحديث من منتصف القرن السادس عشر إلى مطلع القرن العشرين، ترجمة عماد غانم ،(طرابلس،١٩٩١).

٩ . بطران ، عزيز، الثورات الإسلامية في أفريقيا الغربية في القرن التاسع عشر، ج .ف .آجي آداي(المشرف) ، تاريخ أفريقيا العام في القرن التاسع عشر حتى ثمانينياته ، المجلد السادس ، عن منظمة اليونسكو، (بيروت،١٩٩٧).

١٠. بعيو ،مصطفى عبد الله ،دراسات في التاريخ اللوبى ،(الإسكندرية ،١٩٥٣).

١١. بوفيل ،دبليو ، تجارة الذهب وسكان المغرب الكبير ،ترجمة الهادي ابو لقمة ومحمد عزيز،(بنغازي،١٩٨٨).

١٢. تشايتشجي ،عبد الرحمن، الصراع التركي الفرنسي في الصحراء الكبرى، ترجمة على عزازي (طرابلس،١٩٨٢).

١٣. التليسي، خليفة محمد ،حكاية مدينة :طرابلس لدى الرحالة العرب والأجانب ،(طرابلس _تونس ،١٩٨٥).

١٤. توللي، ريتشارد ، عشر سنوات في بلاط طرابلس ،ترجمة عمر الديراوي أبوحجلة ،(طرابلس ،د.ت.).

١٥. جيرار، ب.س،الحياة الاقتصادية في مصر في القرن الثامن عشر ،الجزء الأول، الزراعة والصناعات والحرف والتجارة ، وصف مصر ، الترجمة الكاملة ، ترجمة زهير الشايب ،(القاهرة ،١٩٧٨).

١٦. حسن ،حسن الفقيه ، اليوميات الليبية ، ط٢ ،ج١ ،(طرابلس ،٢٠٠١) ، اليومية رقم ٣٦٥.

١٧. الحشائشى ، محمد بن عثمان التونسى، رحلة الحشائشى إلى طرابلس وبلاد الطوارق ، (تونس،١٩٨٨).

١٨. الرافعي ،عبد الرحمن ، مصر والسودان في أوائل عهد الاحتلال ، (القاهرة ،١٩٦٦).

١٩. روسي ، أتوري ، ليبيا منذ الفتح الاسلامي حتى ١٩١١،ترجمةخليفة التليسى ،(طرابلس،١٩٩١).

٢٠. رياض، زاهر ،مصر وأفريقيا،(القاهرة ،١٩٦٧) .

٢١. ريتشاردسون ، جيمس ، ترحال في الصحراء ، ترجمة الهادي ابو لقمة ،(جامعة قار يونس، بنغازي، ١٩٩٣).

٢٢. زليتنر ،جان كلود ، طرابلس ملتقى أوربا وبلدان وسط أفريقيا ١٥٠٠-١٧٩٥،ترجمة جاد الله عزوز الطلحي ، (طرابلس ،٢٠٠١).

٢٣. سنقو، شعبان ،وجهات نظر التبشير المسيحي ،(بغداد،١٩٨٥).

٢٤. ضياف ، نجمي رجب ، مدينة غات وتجارة القوافل الصحراوية في القرن التاسع عشر ،(طرابلس،١٩٩٩).

٢٥. غانم ،عماد الدين،(مترجم ومحرر)،رحلة عبر أفريقيا ، مشاهدات الرحالة الألماني رالف، في طرابلس وبرنو وخليج غينيا،(طرابلس ،١٩٩٦).

٢٦.فرانشسكو غورو ، ليبيا في العهد العثماني ، ترجمة خليفة التليسي،(طرابلس،١٩٧١).

٢٧. غيث ،حمامة خلفان ، التأثيرات العمانية في زنجبار ،رسالة ماجستير مقدمة الى معهد الدراسات الأفريقية، كلية الآداب ، جامعة القاهرة ، ١٩٨٨، (غير منشورة).

٢٨. كولا فولايان، ليبيا أثناء حكم يوسف باشا القرمانلى، ترجمة عبد القادر المحيشي (طرابلس،.١٩٨٨

٢٩. أحمد سعيد فيتوري ، ليبيا وتجارة القوافل (طرابلس،١٩٧٢).

٣٠. فيرو. شارل ، الحوليات الليبية منذ الفتح الإسلامي، ترجمة محمد عبد الكريم الوافي ، ط٢(طرابلس،١٩٨٣).

٣١. جون لايون، من طرابلس إلى فزان في سنوات ١٨١٨-١٨٢٠، ترجمة مصطفى جودة ،(تونس،١٩٦٧).

٣٢. لوتسكي ، ف.ب. ، تاريخ الأقطار العربية الحديث ، ترجمة عفيفة البستاني ،(موسكو،١٩٧١).

٣٤. ويلارد، جيمس ، الصحراء الكبرى ، مكتبة الفرجاني ،(طرابلس،١٩٧٦).

٣٥. يوركهاردت، جون لويس ، رحلات يوركهاردت في بلاد السودان والنوبة ، ترجمة فؤاد أندراوس ،(القاهرة،١٩٤٥).

المصادر باللغة الإنكليزية

1. Adeleye, R.A., *Power and Diplomacy in North Nigeria*,(London, 1971).

2. Boahen, A.Adu*, Britain, the Sahara and Western Sudan 1788-1861*,(Oxford,1964).

3. Brichard, Evans*, The Sanusi of Cyrenaica*,(Oxford,1949).

4. Farlong ,CharlisW., *The Gate Way to Sahara*,(New York,1914).

5.Hopkins, A.G, *An Economic History of West Africa* , (London ,1973).

6 Johnson, Marion, *Calico Caravans ,The Tripoli-Kano Trade After 1880,*TheJournal of African History, (Camberdig,1976),Vol.XVII,No.I,.

7. Karpat,Kemal H. *The Ottoman Empire and Its Place in World History,*(Leidin,1974).

8. Levtzion ,N., ,*Ancient Ghana and Mali,*(London,1980),174 .

9. Martin, B.G,Kanem , *Bornnu and the Fazzan, Note on the Political History of Trade Route* , The Journal of African History ,Vol. X,No.1,2,3,&4,(Cambridge,1969).

10. Newbary ,C. W ,,*North African in TradeNineteenth Century,* No. 1, 2, 3,

The Journal of African History, (Cambridge,1969) .

11. Toledano, E.R., *The Ottoman Slave Trade and is Suppression 1840-1890*,(Princeton,1982).

12.Waltz ,T. *Trade Between Egypt and BiladAs-Sudan1700-1820*,(Cairo,1978) .

تم البحث بعون الله